المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

قصيدة وصية لاجىء للشاعر : هاشم الرِّفاعي،ت(١٣٧٨هـ) "دراسةٌ بلاغية تحليلية"

The poem “A Refugee’s Will” by the poet: Hashim Al-Rifai, d. (1378 AH) “An Analytical Rhetorical Study”

بقلم الدكتور

أيمن عثمان علي عيسى

مدرس البلاغة والنقد- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية .

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

قصيدة وصية لاجىء للشاعر : هاشم الرِّفاعيِّ، ت(١٣٧٨هـ) "دراسةٌ بلاغية تحليلية"

أيمن عثمان علي عيسى

قسم البلاغة والنقد- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني: AymanIssa.sha.b@azhar.edu.eg

الملخص

تناولت في هذا البحث قصيدة(وصية لاجىء) إحدى قصائد – ديوان الشاعر: هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، نظمها وألقاها في ندوة الشبان المسلمين لنصرة القضية الفلسطينية، وقد جاءت الدراسة في هذا البحث: في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث شملت القصيدة كلها، وخاتمة، وفهارس فنية. في المقدمة: عرضت إلى أهمية الموضوع، ودوافع اختياري له، وخطته، والمنهج المتبع الذي سرت عليه في هذه الدراسة.

وفي التمهيد: عرضت إلى نبذة موجزة عن حياة الشاعر من حيث، اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، والتأثير والتأثر لدي الشاعر، ومؤلفاته، ووفاته، ومناسبة القصيدة، وبحرها العروضي الذي نظم عليه شاعرنا تلك القصيدة، وفي المبحث الأول تحدثت عن: شكوى الاغتراب وألم الفراق. وفي المبحث الثاني تحدثت عن: مأساة الأب اللاجىء ومعاناته. وفي المبحث الثالث تحدثت عن: إحياء ذكريات الطفولة عند الابن على أرض هذا الوطن السليب بين اليأس والرجاء. وفي المبحث الرابع تحدثت عن: شحذ الهمم لاسترجاع الوطن السليب وتحريره. وفي المبحث الخامس تحدثت عن: الوصية بعدم اليأس والتمسك بالوطن السليب والعودة إليه. منهج البحث: أولًا: قسمت القصيدة–موضوع الدارسة– إلى خمسة مباحث شملت القصيدة كلها. ثانيًا: اعتمد منهج البحث على المنهج التحليلي البلاغي وما يتصل به من مناهج أخرى مما تقتضيه طبيعة البحث البلاغي في تحليل النصوص الشعرية؛ للكشف والوقوف على الأسرار البلاغية فيها. ثم خاتمة البحث: وفيها عرضت إلى أهم النتائج التى خَلُص إليها البحث، والفهارس الفنية للبحث.

الكلمات المفتاحية: قصيدة، وصية، لاجىء، الشاعر، الرفاعي.

The poem "A Refugee's Will "by the poet: Hashim Al-Rifai, d. (1378 AH) "An Analytical Rhetorical Study"

Ayman Othman Ali Issa

Department of Rhetoric and Criticism - College of Islamic and Arab Studies for Boys in Sharqia - Al-Azhar University - Faqus City - Arab Republic of Egypt.

Email: AymanIssa.sha.b@azhar.edu.eg

Abstract

In this research, I dealt with the poem (A Will for the Refugee), one of the poems - the poetry collection of the poet: Hashim Al-Rifai (the complete collection), which he organized and delivered at a symposium for Muslim youth to support the Palestinian cause. The study in this research included: an introduction, a preface, and five poetic stanzas that included the entire poem. , conclusion, and technical indexes. In the introduction: I presented the importance of the topic, the motives for choosing it, its plan, and the approach followed in this study. importance of the topic, the motives for choosing it, its plan, and the approach followed in this study. In the introduction: I presented a brief overview of the poet's life in terms of his name, lineage, birth, upbringing, influence and influence on the poet, his writings, death, the occasion of the poem, and its prosodic sea upon which our poet composed that poem. In the first section, I talked about: the complaint of alienation. And the pain of separation. In the second clip, I talked about: the tragedy and suffering of the refugee father. talked about: Reviving the son's childhood memories on the land of this country, between despair and hope. In the fourth section, there is an update on: Sharpening their god to recover and liberate the stolen homeland. In the fifth section, I talked about: the commandment not to despair and to cling to the lost homeland and return to it. Research methodology: First: The poem - the subject of the study - was divided into five sections that included the entire poem. Second: The research method relied on the rhetorical analytical method and other related methods, which is the nature of rhetorical research in analyzing poetic texts. To reveal and discover the rhetorical secrets in it. Then the conclusion of the research: in which I presented the most important results t

hat the research concluded, and the technical indexes of the research

Keywords: poem - will - refugee - poet - A Rifai

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي نظم جواهر البلاغة بخيوط البيان، والصلاة والسلام على أفضل من نطق بلغة الضاد، فأفصح وأبان، وعلى آله وأصحابه أهل الفصاحة والبيان.

أما بعد:

فالشعر ديوان العرب وميراثهم، يعددون فيه مآثرهم وأمجادهم، ويصورن ويجسدون فيه ما يدور في حياتهم من أفراح وأتراح، وهو مرآة صداقة تعكس ما يدور في المجتمعات من أحداث، كما أنه يُعد أحد الفنون الأدبية الرفيعة التى لها مكانتها المعبرة عن الثقافة العربية الأصيلة، وله دوره البارز في نقل التجارب والأحاسيس الشعرية الصادقة لدى قائله، ولا شك أن دراسة الشعر من الدراسات التي لها مكانتها السامية في إثراء البلاغة العربية وسحرها الحلال، لما فيه حكم بالغة لقوله ﷺ :(إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكَمًا)[1]، كما يعود بالنفع العميم على الباحث البلاغي، وصقل مواهبه من خلال دراسته للبلاغة العربية بين النظرية والتطبيق وتحليله للنصوص الشعرية والوقوف على أسرارها البلاغية، وإذا كان للشعراء دورهم البارز في ترجمة ما يدور حولهم من أحداث في مجتمعاتهم في نصوصهم الشعرية، فكان لشاعرنا الإسلامي الثائر الحر الذي يحمل همَّ الأمة الإسلامية والعربية –هاشم الرفاعي–، نصيبًا وحظًا أوفرَ من هذا؛ وأصدق دليل على هذا، ما جاء في قصيدته:(وصية لاجىء) ونقله لتجاربه وأحاسيسه في نصوصها التى لها عظيم الأثر على كل من قرأها أو سمعها، فهي قصيدة لها أهمية بالغة، حيث تقص علينا واقعًا مريرًا لما عاشته وتعيشه الآن

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، ٤/٤٥،ط،دار النشر: دار الحرمين البلد: القاهرة – مصر، ط: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.

الأمة الإسلامية والعربية من الذل والهوان والانكسار؛ لا سيما الدولة الفلسطينية وما تعانيه من الظلم والقمع والتخريب والتهجير لأبناء الشعب الفلسطيني في البلاد المجاورة من قبل هذا الاحتلال الصهيوني العدواني الغاشم، لذا جاء موضوع بحثي هذا تحت عنوان: قَصِيدَةُ: وَصِيَّةُ لَاجِئٍ لِلشَّاعِرِ: هَاشِمِ الرِّفَاعِيِّ، ت(١٣٧٨هـ) "دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ" وكان من دواعي اختيار لها الموضوع عدة أمور من أهمها:

أولًا: ما لهذه القصيدة من وقع مؤثر على نفسي؛ لما فيها من تجربة شعرية وأحاسيس صادقة تستحق الوقوف معها لدى شاعرنا -هاشم الرفاعي- تجاه القضية الفلسطينية .

ثانيًا: تصوير هذه القصيدة لما يعانيه الشعب الفلسطيني الآن من هذا العدوان الغاشم، رُغم أنها قيلت في خمسينيات القرن الماضى عام ١٩٥٨م، لكن ما أشبه اليوم بالبارحة، وما يعيشه الشعب الفلسطيني الأعزل اليوم في غزة ورفح والمدن الفلسطينية من ظلم هذا الكيان الصهيوني الغاشم.

ثالثًا: دراسة البلاغة العربية بين النظرية والتطبيق، من خلال دراسة وتحليل النصوص الشعرية لهذه القصيدة، ومحاولة الكشف عن الأسرار البلاغية المشتملة عليها.

رابعًا: الرغبة في دراسة شعر هاشم الرفاعي-أحد الشعراء البارزين في العصر الحديث- الذي صور بقلمه آلام الأمة الإسلامية والعربية.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية.

في المقدمة: عرضت إلى أهمية الموضوع، ودوافع اختياري له، وخطته، والمنهج المتبع الذي سرت عليه في هذه الدراسة.

وفي التمهيد: عرضت إلى نبذة موجزة عن حياة الشاعر من حيث، اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، والتأثير والتأثر لدي الشاعر، ومؤلفاته، ووفاته، ثم

مناسبة القصيدة، وبحرها العروضي الذي نظم عليه الشاعر-هاشم الرفاعي-تلك القصيدة.

وفي المبحث الأول تحدثت عن: شكوى الاغتراب وألم الفراق.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن: مأساة الأب اللاجيء ومعاناته.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن: إحياء ذكريات الطفولة عند الابن على أرض الوطن السليب بين اليأس والرجاء.

وفي المبحث الرابع تحديث عن: شحذ الهمم لاسترجاع الوطن السليب وتحريره.

وفي المبحث الخامس تحدثت عن: الوصية بعدم اليأس والتمسك بالوطن السليب والعودة إليه.

منهج البحث: أولًا: قسمت القصيدة-موضوع الدارسة- إلى خمسة مباحث شملت القصيدة كلها.

ثانيًا: اعتمد منهج البحث على المنهج التحليلي البلاغي وما يتصل به من مناهج أخرى مما طبيعة

البحث البلاغي في تحليل النصوص الشعرية؛ للكشف والوقوف على الأسرار البلاغية فيها.

خاتمة البحث: وفيها عرضت إلى أهم النتائج التى خَلُص إليها البحث.

ثم الفهارس الفنية للبحث:

-ثبت للمصادر والمراجع.

-فهرس للموضوعات.

وبعد...، فإن كان هذا البحث قد حقق ما هو له، فذلك فضل الله ﷻ، وإن تكن الأخرى فحسبي أنني اجتهدت وأخلصت، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار وسلم تسليمًا كثيرًا.

تمهيـــــــــد:

الشاعر هاشم الرفاعي -في سطور-(**)

اسمه:

هو ذلكم الشاعر: سيد بن جامع بن هاشم بن مصـطفى الرفـاعيِّ؛ لكنـه اشتهر باسم جده هاشم؛ لشهرته ونبوغه بما عُرِفَ عنه من فضلٍ وعلـمٍ؛ حيـث عرف هاشم الرفاعي واشتهر بهذا الاسم، وانطوى الاسم الحقيقي عنه، كان والده جامع شيخًا لإحدى الطرق الصوفية المنتشرة في مصر، وقد توارثها عن أجداده، وأصبح رائدًا لها بعد أبيه..، ولم يكن والده متعلمًا، إذ لم يـدرس فـي المعاهـد التعلمية؛ بل تربى على يد والده، وأخذ عنه العلوم الدينية وحفظ القـرآن الكـريم وتوفي عام ١٩٤٩م. وكان جده هاشم من العلماء الأفاضل تسلم ريادة الطريقـة بعد والده في الأزهر، وكان يطوف على تلاميذه ومريديه في الأقاليم، ويفقه الناس في الدين ويدرِّس لهم شروح البخاري، كما كان جده الأكبر –مصطفى الرفاعي– من علماء الأزهر، وشيخًا للطريقة الرفاعية وله مؤلفات في التصـوف والفقـه والأدب وله ديوان شعر وكلها مخطوطة. وهكذا، فالشاعر من أسرة متدينة عرفت بريادتها لطريقة من الطرق الصوفية. (١)

مولده: ولد الشاعر هاشم الرفاعي بقرية (أنشاص الرمـل) إحـدى قـرى مركز بلبيس بمحافظة الشرقية عام ١٩٣٥من الميلاد.

نشأته:

وأما عن نشأته فقد نشأ في بيت يعني بالعلم والتفقه في دين الله والتربيـة الإسلامية؛ حيث نشأ في هذه الأسرة المتدينة، وتربى على يد والده الذي أُثر عنه الحزم في التربية، وكان يريد أن يربي ابنه تربية خاصة؛ ليكون رائدًا للطريقة من بعده؛ لكن الابن–الشاعر– أبى إلا أن يتعلم إلا في الأزهر الشريف، ورفض رغبة

(١) يراجع: مقدمة ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، جمع وتحقيـق: حسـن محمـد بريغش، ص: ١٥وما بعدها، مكتبة المنار، الأردن–الزرقاء، ط، الثانية ١٤٠٥ه/١٩٩٥م.

أبيه، فحاول الأب أن يثنيه عن تحقيق رغبته فأبى، فعالجه باللين تارة، وبالضرب تارة أخرى، لكن الابن أبى متمسكًا برغبة رغم صغر سنه، ولجأ إلى وسيلة لإقناع والده، فاتصل ببعض أقاربه وأصدقاء أبيه وأقنعهم برغبته، وطلب منهم إقناع أبيه، وفعلوا ذلك ورضخ الوالد لهذه الرغبة أمام تدخل الأقارب والأصدقاء، فذهب الابن-الشاعر- إلى الأزهر الشريف ليلتحق بمعهد الزقازيق الديني عام ١٩٤٧م، وحصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية عام ١٩٥١م، ثم أكمل دراسته الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٥٦م، ثم التحق بكلية دار العلوم، وتوفي قبل أن يتخرج منها بعام واحد عام ١٩٥٩م-رحمه الله-؛ حيث قتل على يد بعض حساده ومبغضيه من الشيوعيين الذين حاربهم وكشف ضلالهم وخداعهم في نادي أنشاص الرياضي الثقافي.(١)

شاعريته:

كان هاشم الرفاعي شاعرا يحمل هم وطنه-مصر- والأمة الإسلامية والزود والدفاع عنها بكل ما يملك، وكان شعره واضحًا يمثل الاتجاه الإسلامي والصراع الدائر في مصر بين المسلمين وأعدائهم، وكان الشيوعيون من ذوي النفوذ في تلك الفترة يحاولون طمس الاتجاه الإسلامي والتنكيل بأصحابه.(٢)

ويشاء الله ﷻ أن يموت الشاعر الذي لحق بمن طعنه؛ ليثأر لنفسه حتى نزفت دماؤه وسقط ميتا، وهكذا ظهرت قصة الشاعر هاشم الرفاعي كما قال عنه أخوه مصطفى-رحمهما الله-"مصباح أشرق ثم اختنق، وزهرة زهت وألقت ثم ذبلت وصوَّحت(٣)، وحلم جميل طاف ثم بنائم دنا في عنف الواقع المر".(٤)

---

(١) يراجع: المصدر نفسه. ص: ١٨، ١٩.

(٢) يراجع: ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص:٢١.

(٣) صوَّحت: من تصوح البقل إذا تم يبسه، وهذا كناية عن موت الشاعر-هاشم الرفاعي-. يراجع:، لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ٥١٩/٢، ط: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة،١٤١٤ هـ.

(٤) ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص: ٢٢.

التأثير والتأثر لدى الشاعر:

أما المؤثرات التي تركت بصماتها لدى الشاعر-هاشم الرفاعي-فهي كثيرة منها: حفظه لكتاب اللهﷻ منذ صغره، وكذا تأثره بما تركه له والده وأجداده من مكتبة تحتوي على العديد من المؤلفات الإسلامية، مع تربية تهتم بالجانب الروحي والأخلاقي ، ثم ما كان يقرأه من الكتب والمؤلفات الإسلامية ولا سيما كتب التراث الإسلامي والأدبي، حيث كان شاعرنا-هاشم الرفاعي- يحفظ الكثير من شعر القدامى، ويحفظ المعلقات السبع، وشعر المتنبي والبحتري ، مما يدل على حبه له وإعجابه به، كما كان لأستاذه الشاعر على الجندي أثر كبير لديه ونصحه أخوه مصطفى بالاتصال به، وفعل ذلك وأعجب به وجعله مسئولا عن لجنة الشعر في الكلية، كما كان يطالع لعدد من الكتاب والشعراء المحدثين أمثال العقاد، وطه حسين، والرافعي وغيرهم، ولم يكن موقفه سلبيًا مما يقرأ ؛ بل كانت له مواقف مع ما كان يقرأ له أمثال طه حسين في الكلية ورده على آرائه التي كان يشايع فيها المستشرقين ويفتري فيها على الإسلام والعربية، كما كان للطبيعة الخلابة - أيضا- لدى الشاعر أثر كبير؛ حيث كان لمنطقته الجميلة وما فيها من مناظر جميلة خلابة أثر في نفسه، فلقد أحب تلك الطبيعة الوادعة، أحب صفاءها ونقاءها وطهرها وبعدها عن زيف المدينة وفسادها.(١)

مؤلفاته:

بدأ هاشم الرفاعي يقول الشعر مبكرًا، وكان في أول أمره يقلد بعض الشعراء أمثال شوقي وغيره، وقال أول شعره ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وكانت طموحاته كبيره وثقته بنفسه عظيمة، لهذا نراه يقول الشعر منذ تلك السن الصغيرة، ويجمع ما ينظم من شعر في مجموعات ودواوين، وكلما مرت سنة أو سنوات يعود لجمع ديوان آخر، ويرجع إلى قصائده القديمة فينقحها ويزيد فيها أو يحذف منها، ومن دواوينه التي تركها مخطوطة ما يأتي:

(١) يراجع: ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص: ٢٢، ٢٣.

١-: " نسيم السحر" وهي مجموعة صغيرة تضم ١٣٠ بيتًا نسخها بخطه، ورتب قصائدها ومقطوعاته بطريقته الخاصة ووضع فيها بعض زملائه المعجبين بها.

٢-المجموعة الثانية وتشبه مجموعة" نسيم البحر" قد جمعها الشاعر سنة١٩٤٩من الميلاد، وتحتوي على اثنتي عشرة ورقة، وهذه المجموعة تشبه إلى حد كبير المجموعة الأولى، وقصائدها تشبه قصائد المجموعة الأولى من حيث عدد الأبيات والموضوعات مع بعض الموضوعات التي لم تضمها المجموعة الأولى.

٣-المجموعة الثالثة: "المختار من أشعاري" وهي مجمعة أكبر من سابقيها تحتوي على خمس وعشرين ورقة، كتب في صفحتها الأولى: بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.. إنَّ من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمة، وقسمها إلى عدة أقسام: السياسات، الغزل، الاجتماعيات، المراثي.

٤-المجموعة الرابعة:" آهات شريدة" وتحتوي على خمس وأربعين ورقة، قسمها إلى موضوعات بعد المقدمة والإهداء وهى: السياسات، الغزل، الاجتماعيات، أشتات ويضم بعض القصائد منها: عودة الأبطال، ومنحة المعهد،...وغيرها، ودعابات وتضم-أيضًا- بعض القصائد.

٥-المجموعة الخامسة والأخيرة، وهى مجموعة كبيرة تحتوي على سبع وخمسين ورقة، وقد احتوت على أكثر القصائد التي وردت في " آهات شريدة" وزاد عليها قصائد ومقطوعات أخرى جديدة.(١)

وللشاعر-هاشم الرفاعي- آثار شعرية أخرى منها: " ديوان جراح مصر" وهذا الديوان مجموعة شعرية تحتوي على عشر قصائد رتبها حسب تاريخ نظمها، وكلها قصائد تصف الأوضاع التى سادة في مصر إبان هذه الحقبة الزمنية.(٢)

(١) يراجع: ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص: ٢٥-٣٢.

(٢) يراجع: ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص: ٣٣.

كما برع الشاعر-هاشم الرفاعي- في المسرحة الشعرية مثل " شهيد بني عذرة" جعلها الجزء الثالث من هذا الديوان، كما ترك الشاعر بعض الكتابات النثرية الأخرى، بعضها موضوعات ألقاها في مناسبات إسلامية، أو في محافل بلدته أو معهده ومنها:

١-مسرحية شعرية بعنوان" دماء في الإسلام" حيث كتب أهم أفكارها وأحداثها نثرًا ؛ تمهيدًا لصياغتها شعرًا بعد ذلك.

٢-مسرحية شعرية عن بلدة أنشاص، وهي مسرحية رمزية يدور الحوار فيها بين أنشاص والتاريخ، ويشترك فيها المثقف والفلاح والعامل، ويقول فيها : أنشاص:

أيهُا التاريخُ سجِّل لوعتي وبكاءَ عزتيِ في العالمين

كما كتب شاعرنا-هاشم الرفاعي- قصة قصيرة، وما تزال مخطوطة أسماها " مأساة يتيم أو النفس المعذبة" ، كما كتب بعض القصص الواقعية في مراحله الأولى أسماها " الأيام" وبها سرد بديع -كما وصفها أخوه- تروي حياة المؤلف، كما كتب قصة أخرى أسما " الانتقام" وهى قصة خيالية تصور شعور شاب عصب حقه، وظلمه أهله وأقاربه، وبدأ كيف يفكر في الانتقام لنفسه، وقصة واقعية أسماها " إصبع القدر" وهى قصة تقص علينا مأساة دامية ومفجعة لرجل طاردته الأقدار.[١]

فبحق كان شاعرنا-هاشم الرفاعي- شاعرًا فذًا ذا قريحة نادرة، تعددت مواهبه في فنون الشعر وآدابه وفي شتى المعارف .

وفاته: توفي الشاعر-هاشم الرفاعي في ريعان شبابه عام ١٩٥٩م، قبل أن يتخرج بعام واحد عام من كلية دار العلوم-؛ حيث قتل على يد بعض حساده ومبغضيه من الشيوعيين الذين حاربهم وكشف ضلالهم وخداعهم في نادي

(١) يراجع: ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص: ٣٥-٤٥.

أنشاص الرياضي الثقافي إثر طعنة نافذة فارق الحياة على إثرها. عن عمر يناهز الرابعة والعشرين عامًا. -رحمه الله رحمةً واسعة-.[١]

بين يدي القصيدة:

أ-مناسبة القصيدة وموضوعها:

أما عن مناسبة هذه القصيدة التي بين أيدينا، فهي قصيدة تقص علينا واقعًا مريرًا لما تعايشه الأمة الإسلامية من الذل والهوان والانكسار؛ لا سيما الدولة الفلسطينية وما تعانيه من الظلم والقمع والتخريب والتهجير لأبناء الشعب الفلسطيني في البلاد المجاورة من قبل هذا الاحتلال الصهيوني العدواني الغاشم، منذ عام ١٩٤٨من الميلاد، وحتى يومنا هذا، ورغم أنها قيلت في خمسينات القرن الماضى عام ١٩٥٨م، لكن ما أشبه اليوم بالبارحة، مما يعاينه الشعب الفلسطيني اليوم في غزة ورفح والمدن الفلسطينية من قبل الاحتلال الإسرائيلي ومحاولة إرغامهم على التهجير القصري نحو البلاد المجاورة؛ لذا جاء موضوع هذه القصيدة مناسبًا لما تمر به الأحداث في المدن الفلسطينية، تحت عنوان(وَصِيَّةُ لَاجِئٍ) وهى إحدى قصائد - ديوان الشاعر: هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)-، نظمها الشاعر-هاشم الرفاعي- وألقاها في ندوة الشبان المسلمين لنصرة قضية فلسطين في يوم ١٨نوفمبر١٩٥٨من الميلاد، ونالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.، برع فيها شاعرنا-هاشم الرفاعي- في تقمص شخصية أحد اللاجئين الفلسطينيين المشردين من قبل هذا العدوان الصهيوني، وما يعانيه اللاجىء المشرد المغترب عن وطنه من الذل والانكسار وألم الفرقة والاغتراب وتركه للأهل والأحباب ووطنه الذي نشأ فيه منذ نعومة أظافره، وأكل من خيراته، وتنقل في ربوع جنباته التي فاضت عليه رياضها ماءً وظلًا منذ طفولته حتى كبُر ونشأ وترعرع، إلى أن جاء هذا العدو الصهيوني الغاشم وسلبه آمال الكهولة والشباب وما كان يطمح ويسعى إليه

(١) يراجع: المصدر نفسه. ص: ١٩.

جاهدًا من آمالٍ كبارٍ، وطموحاتٍ عظامٍ، فحطمها وأفسد ما كان يتطلع ويصبوا إليه في شبابه وفي مستقبل حياته بعد كبره، لكنَّ شاعرنا –هاشم الرفاعي–يكشف لنا عن مدى قوة العقيدة الراسخة الصامدة لدى هذا الأب اللاجيء الفلسطيني في حبه لوطنه والتمسك به وعدم التفريط في ذرة رمل من تربته الطاهرة لهذا العدو الصهيوني بأي حال من الأحوال مهما كلفه؛ ذلك ما نلحظه من خلال تلك الوصية من هذا الأب الفلسطيني اللاجيء لابنه بالعودة إليها والدفاع عنها وبذل كل غال ونفيس حتى يحقق ما كان يطمح ويسعى إليه والده جاهدًا، تجاه هذا الوطن الحبيب، ولم يسعفه الأجل بالعودة لوطنه مرة أخرى بعد خروجه مشردًا مغتربًا من قِبَل هذا العدو الصهيوني. (١)

ب–أما عن البحر العروضي الذي نظم عليه شاعرنا تلك القصيدة:

نظم الشاعر –هاشم الرفاعي– هذه القصيدة على تفعيلات (مجزوء بحر الكامل)، (متفاعلن، متفاعلن) (متفاعلن، متفاعلن) في كل شطر من أبيات قصيدته، ولم تكن مصادفة أن ينظم هاشم الرفاعي قصيدته–هذه– على مجزوء بحر الكامل؛ إذ إن بحر الكامل –بوجه عام–، بطبيعته بحر غني ثر يتسع للعديد من الأغراض الشعرية؛ إذ إن من عجائبه أنه بحر يصلح للبكاء والغضب والحزن والفرح والتغني وغيره، كما أنه يُعد من أصلح البحور لإبراز العواطف البسيطة ومنها الغضب، وبهذا فهو مناسب لإبراز عاطفة الشاعر وتجربته الشعرية ونقل أحاسيسه وشعوره من الغضب والحزن الذي خيم على عقله، والهم والغم الذي ملأ وعاء صدره وقلبه، بفقده لأعز ما يملك من وطنه، وابنه الذي فقده ودفنه بيده، وأهله وأحبابه؛ لذا كان لبحر الكامل؛ لاسيما (مجزوء بحر الكامل) الذي نظم هاشم الرفاعي قصيدته وبناها عليه دلالته القوية لترجمت تلك العاطفة وتجربته الشعرية، وكأننا بشاعرنا–هاشم الرفاعي– واختياره الموفق(لمجزوء بحر الكامل) بتفعيلاته الي يعزف به على أوتار قصيدتنا؛ فأبكى القلوب والعيون، مما يجعلنا

(١) يراجع: ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص:٣٧٨.

نعيش معه أجواء تلك القصيدة وأحداثها بما فيها من آلام وأحزان وأتراح كأنها رأي العين، وكما لو كانت تلك الوصية واقعة بالفعل من أب لاجئ فلسطيني، فقد الأمل في العودة والرجوع إلى وطنه وأهله، أنهكه التعب ولم يبق له من الحياة سوى رمق، يلتقط أنفاسه الأخيرة، فلم يسعفه غير (مجزوء بحر الكامل) مكتفيًا بتفعيلتين فقط في كل شطر من أبيات قصيدته؛ مناسبة لحالته الصحية والنفسية المفعمة بالأسى والحزن، وكأنها زفرات حزينة يلقي بها شاعرنا من خلال هاتين التفعيلتين لمجزوء بحر المكامل؛ لذا كان الشاعر موفقًا في اختياره لمجزوء الكامل لبناء قصيدته ونظمها عليه. (١)

ج-قافية القصيدة:

أما عن قافية فقد خرج الشاعر -هاشم الرفاعي- عن إطار الالتزام بالقافية الموحدة في هذه القصيدة كما أشار الدكتور: حامد طاهر -عميد كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عبر موقعه الالكتروني- بقوله:" في قصيدة -وصية لاجىء-خرج هاشم الرفاعي عن إطار الالتزام بالقافية الموحدة في سائر القصيدة، يتحرك هاشم الرفاعي في إطار أكثر سعةً وتنوعًا، يتلائم مع هذا اللون الجديد من الشعر الذي يمكن أنه يصفه بأنه مرحلة وسط بين الشعر التقليدي، والشعر العمود، والشعر الحر، يتكون المقطع من تسعة أبيات كل بيت يحتوي ثلاث تفعيلات، الأبيات الخمسة الأولى بقافية القاف، والسادس والسابع بقافية الكاف، والثامن والتاسع بقافية الباء" .(٢)

ولعل في هذا -والله أعلم-تناسبًا لكل صورة ومشهد يعرض لها الشاعر في تلك الوصية التي تمثل هذه القصيدة.

---

(١) يراجع :المرشد إلى فهم أشعار العرب: عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب ،٣٤٧/١، ٣١٦، ط الناشر: دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

(٢) سلسلة شعر ومختارات هاشم الرفاعي، موقع د/ حامد طاهر، الشبكة العنكبوتية.

نَصُّ القَصِيدَةُ-مَوْضُوعُ الدِّرَاسَةِ-

" وَصِيَّةُ لَاجِئٍ " (١)

أَنَا يَا بُنَيَّ غَدًا سَيَطْوِينِي الْغَسَق [مَجْزُوءُ بَحْرِ الكَامِلِ]
لَمْ يَبْقَ مِنْ ظِلِّ الْحَيَاةِ سُوىَ رَمَقْ
وَحُطَامِ قَلْبٍ عَاشَ مَشْبُوبَ(٢) القَلَقْ
قَدْ أَشْرَقَ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا وَاحْتَرَقْ
جَفَّتْ بِهِ آمَالُهُ حَتَّى اخْتَنَـــــــقْ

فَإِذَا نَفَضْتَ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك
وَمَضَيْتَ تَلْتَمِسُ الطَّرِيقَ إِلَىَ غَدِك
فَاذْكُرْ وَصِيَّةَ لَاجِىءٍ تَحْتَ التُرَاب
سَلَبُوهُ(٣) آمَالَ الْكُهُولَةِ وَالشَّبَاب

مَأْسَاتُنَا مَأْسَاةُ نَاسٍ أَبْرِيَاء ****
وَحِكَايَةٌ يَغْلِي بِأَسْطُرِهَا الشَّقَاء
حَمِلَتْ إِلَىَ الْآفَاقِ رَائِحَةُ الدِّمَاء
وَجَرِيمَتِي كَانَتْ مُحَاوَلَةُ الْبَقَاءِ
أَنَا مَا اعْتَدَيْتُ وَلَا ادَّخَرْتُكَ لِاعْتِدَاء
لَكِنْ لِثَأْرٍ(٤) نَبْعُه دَامٍ .. هُنَا

---

(١) ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، ص: ٣٧٨-٣٨٠.

(٢) مشبوب: أى: متوقد ومشتعل نارًا، يراجع: لسان العرب،١/٤٨١.

(٣) سلبوه: السِّينُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَخْذُ الشَّيْءِ بِخِفَّةٍ وَاخْتِطَافٍ. يُقَالُ سَلَبْتُهُ ثَوْبَهُ سَلْبًا. معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،٣/٩٢، ط: دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٤) الثأر: الطَّلَب بالدّم.. ثأر فلانٌ لقتيله، أي: قَتَل قاتِلَهُ، كتاب العين، تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،٨/٢٣٦، ط: دار ومكتبة الهلال.

بَيْنَ الضُّلُوعِ جَعَلْتُهُ كُلَّ ...الْمُنَى
وَصَبَغْتُ[١] أَحْلَامِي بِهِ فَوْقَ الْهِضَاب
وَظَمِئْتُ عُمْرِي ثُمَّ مِتُّ بِلَا شَرَاب

كَانَتْ لَنَا دَارٌ وَكَانَ لَنَا وَطَنْ
أَلْقَتْ بِهِ أَيدِي الْخِيَانَةِ لِلمِحَنْ
وَبَذَلْتُ فِي إِنْقَاذِهِ أَغْلَى ثَمَنْ
بِيَدِي دَفَنْتُ فِيهِ أَخَاكَ بِلَا كَفَنْ
إِلَّا الدِّمَاءَ وَمَا أَلَمَّ بِيَ الْوَهَنْ

إِنْ كُنْتُ يَوْمًا قَدْ سَكَبْتُ[٢] الأَدْمُعَا
فَلَأَنَّنِي حُمِّلْتُ فَقْدِهِمَا ..... مَعًا
جُرْحَانِ فِي جَنْبَيَّ ثَكْلٌ[٣] وَاغْتِرَاب
وَلَدٌ أُضِيعَ... وَبَلْدَةٌ رَهْنَ الْعَذَاب

تِلْكَ الرُّبُوعُ هُنَاكَ قَدْ عَرَفَتْكَ طِفْلًا ***
يَجْنِي السنا[٤] والزَّهْرَ حِينَ يَجُوبُ حَقْلًا
فَاضَتْ عَلَيْكَ رِيَاضُهَا مَاءً وَظِلًّا
وَالْيَومَ قَدْ دَهَمَتْ[٥] لَكَ الأَحْدَاثُ أَهْلًا

---

(١) الصبغ: (صَبَغَ) الصَّادُ وَالْبَاءُ وَالْغَيْنُ، أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَلْوِينُ الشَّيْءِ بِلَوْنٍ مَا. معجم مقاييس اللغة، ٣/٣٣١.

(٢) السكب: من الْمَطَر: الهطلان الدَّائم...، وانسكب الشَّيْء انسكابا كالدمع وَغَيره وسكبت الْعين دمعها. جمهرة اللغة، تأليف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي،١/٣٣٩،ط: دار العلم للملايين – بيروت ط: الأولى، ١٩٨٧م

(٣) الثُّكْلُ: فقدان الحبيب ، كتاب العين،٩/٣٤٩.

(٤) السنا: حدّ مُنْتَهَى ضوء البدر والقمر. المصدر نفسه، ٧/٣٠٣.

(٥) دهم: الدَّالُ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى غِشْيَانِ الشَّيْءِ فِي ظَلَامٍ، معجم مقاييس اللغة٢/٣٠٧.

وَمُرُوجُكَ[١] الْخَضْرَاءُ تَحْنِي الْهَامَ ذُلًّا
هُمْ أَخْرَجُوكَ فُعُدْ إِلَى مَنْ أَخْرَجُوك
فَهُنَاكَ أَرْضٌ كَانَ يَزْرَعُهَا ... أَبُوك
قَدْ ذُقْتَ مِنْ أَثْمَارِهَا الشَّهْدَ الْمُذَاب
فَإِلَامَ تَتْرُكَهَا لِأَلْسِنَةِ الْحِرَاب ؟[٢]

إِنْ جِئْتَهَا يَوْمًا وَفِي يَدِكَ السِّلَاحْ
وَطَلَعَتَ بَيْنَ رُبُوعِهَا مِثْلَ الصَّبَاحْ
فَاهْتِفْ عَلَي سَمْعَ الرَّوَابِي وَالْبِطَاحْ
إِنِّي أَنَا الْأَمْسُ الَّذِي ضَمَّدَ[٣] الْجِرَاحْ
لَبَّيْكَ يَا وَطَنِي الْعَزِيزَ الْمُسْتَبَاحْ

أَوَلَسْتَ تَذْكُرَنِي؟ أَنَا ذَاكَ الْغُلَام
مَنْ أَحْرَقُوا مَأْوَاهُ فِي جُنْحَ الظَّلَام
بِلَهِيبِ نَارٍ حَوْلَهَا رَقَصَ الذِّئَاب
لَفَّتْ حَيَاتِي بِالدُّخَانِ وَبِالضَّبَاب

لَا تَبْكِينَّ فَمَا بَكَتْ عَيْنُ ... الْجُنَاة
هِيَ قِصَّةُ الطُّغْيَانِ مِنْ فَجْرِ الْحَيَاة
فَارْجِعْ إِلَى بَلَدٍ كُنُوزُ أَبِي... حَصَاه

---

(١) مرج: قَالَ اللَّيْث: الْمَرْجُ أَرْضٌ واسِعةٌ فِيهَا نَبْتٌ كَثِير تَمْرَجُ فِيهَا الدَّواب وجمعُهــا مُــروج. تهذيب اللغة، تأليف:
أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب. ٥٠/١١، ط، دار النشــر : دار إحياء التراث
العربي، ط، بيروت ط، الأولى، ٢٠٠١م.
(٢)ديوان هاشم الرفاعي، من ص: ٣٧٨-٣٨٠.
(٣) ضَمَّدَ: ضَمَدْتُ رأسَه بالضِّماد: وهو خِرْقةٌ تُلَفُّ على الرأس عند الادِّهانِ والغَسْلِ ونحو ذلك وقد يُوضَع على الرأس من قِبَل الصداع يضمد به. كتاب العين،٢٤/٧.

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ عَلَى ثُرَاه
أَمَلٌ ذَوِيَّ، مَا كَانَ لِي أَمَلٌ سِوَاه
فَإِذَا نَفَضْتَّ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك
وَمَضَيْتَ تَلْتَمِسُ الطَّرِيقَ إِلَى غَدِك
فَاذْكُرْ وَصَّيةَ لَاجِىءٍ تَحْتَ التُرَاب
سَلَبُوهُ آمَالَ الْكُهُولَةِ وَالشَّباب[١]

*****

(١) ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، جمع وتحقيق: حسن محمد بريغش، ص: ٣٧٨-٣٨٠.

المبحث الأول: شكوى الاغتراب وألم الفراق :

١-أَنَا يَا بُنيَّ غَدًا سَيَطْوِينِي الْغَسَقْ [مَجْزُوءُ بَحْرِ الكَامِلِ]
لَمْ يَبْقَ مِنْ ظِلِّ الْحَيَاةِ سُوىَ رَمَقْ
٢-وَحُطامِ قَلْبٍ عَاشَ مَشْبُوبَ القَلَقْ
قَدْ أَشْرَقَ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا وَاحْتَرَقْ
جَفَّتْ بِهِ آمَالُهُ حَتَّى اخْتَنَـــــــقْ
٣-فَإِذَا نَفَضْتَ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك
وَمَضَيْتَ تَلْتَمِسُ الطَّرِيقَ إِلَىَ غَدِك
فَاذْكُرْ وَصِيَّةَ لَاجِىءٍ ..تَحْتَ التُرَاب
سَلَبُوهُ آمَالَ الْكُهُولَةِ ... وَالشَّبَاب

******

برع الشاعر –هاشم الرفاعي– براعة فائقة في تقمصه لشخصية أب لاجىء فلسطينيي، قد بلغ به الكبر مبلغه، وألمَّ به الضعف والوهن، أوشك على الرحيل إلى الدار الآخرة، لم يبق له من الحياة سوى رمق، كان هذا الأب يعاني شكوى الاغتراب ووحشته، وألم ومرارة الفراق في تركه للوطن والأهل والأحباب وغصته، كما لو كان عاشها واقعًا بالفعل، حيث أخذ يحدث ابنه ويوصيه، وكأن هذا هو آخر لقاء له به، بأن يتمسك بأرض وطنه الحبيب، مهما كلفه ذلك، ويحقق ما كان يطمح ويسعى إليه والده جاهدًا، من آمال كبار، وأحلام عظام، كان يتطلع ويطمح في تحقيقها، لكن حال دونه ما صنعه به هذا الاحتلال الصهيوني الغاشم، فكان لديه، وكأن هذا الأمل كالمصباح المضيء، لكن سرعان ما انطفأ هذا المصباح وتحطم كل أمل لديه بتهجيره وتشريده من أرض وطنه وتركه لأهله وأحبابه من قِبلِ هذا الاحتلال الإسرائيلي .

وقد بدأ الشاعر–هاشم الرفاعي– في بث شكواه لابنه في هذه الوصية بقوله :

١-أَنَا يَا بُنَيَّ غَدًا سَيَطْوِينِي الْغَسَقْ [مَجْزُوءُ بَحْرِ الكَامِلِ]
لَمْ يَبْقَ مِنْ ظِلِّ الْحَيَاةِ سُوىَ رَمَقْ

حيث صدّر الشطر الأول من البيت في تلك الوصية بالمسند إليه المعرَّف بضمير المتكلم(أنا) ؛ لأنه بصدد الحديث عن نفسه، فهى وصية خاصة بهذا الأب اللاجىء يتحدث فيها عن نفسية أب مكلوم مفعمة بالأسى والحزن العميق، وأعظم الحسرة وأقساها هي حسرة النفس؛ لما لحق بها من هذا الظلم والاعتداء الغاشم من قِبَل هذا العدو الصهيوني، بتهجيره القصري له وتركه لوطنه وأهله، وما أشبه اليوم بالبارحة مما نراه ونسمعه ونشاهده عبر الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي مما يحاك بإخواننا الأشقاء في فلسطين في مدينة غزة ورفح وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية الآن، من استشهاد للمدنيين العزل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، وما نراه ونشاهده من تخريب ودمار شامل وهدم للمنازل والمدارس ودور العبادة وغيرها، وتهجير قصري للسكان وتركهم ومغادرتهم لمنازلهم، كل ذلك والعالم منه في صمت تام، يقف مكتوف الأيدي لم يحرك فيه ساكنا-وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم- ، كما يلحظ-أيضًا- أن في البدء بضمير التكلم (أنا) إشعارًا بلفت وجذب انتباه ولده لإصغاء مايمليه والده من تلك الوصية.

ثم يزيد شاعرنا الإفصاح عن هذه الحسرة والحزن في بث شكواه لابنه في هذه الوصية، -أيضًا- من خلال استخدامه للأسلوب الإنشائي المنبئ به النداء في قوله:(يا بني) وكأنه باستخدامه لحرف النداء(يا) الدال على نداء البعيد، وما فيه من امتدادِ صوتي وإطالة للنفس ما يفيض ويشعر بمعاني الأسى والحزن والألم والحسرة التى ملأت جوانبه وزلزلت عرش أركانه، وخيبة الأمل التى انتبته من هذا العدو الغاشم، بفقده لوطنه الحبيب وأهله .

كما كان لحرف النداء(يا) الدال على نداء البعيد في قوله:(يابني) وتنزيله لابنه منه منزلة البعيد مع قربه منه، ما ينبئ به عن أهمية هذه الوصية والإصغاء

إليها جيدًا، وأن يجعلها محط قلبه وعقله وبصره، وفي هذا تنزيل للمستقبل البعيد من الزمان، منزلة المستقبل القريب.

ثم لنتأمل هذا الأسلوب الإنشائي :(يا بني) وما يحمله في طياته من قِبَل هذا الأب تجاه ابنه من أسمى معاني الحب والود والتعطف والرحمة والحنو والمحبة بكل معانيها، من خلال التعبير بقوله (يابني) ولم يناديه باسمه مجردًا، أو يناديه بقوله:(يا ولدي)؛ بل عبَّر بالبنوة وما تحمله من مشاعر الأبوة الحانية، وما تضفيه عليه الإضافة بـ(ياء) المخاطبة من شدة القرب والحنان، ولم لا ؟! والابن للأب هو فلذة الكبد وبلسم الفؤاد.

وتأتي الاستعارة التصريحية من خلال ظرف الزمان في قوله :(غدًا) أي: عمَّ قريب، أو في المستقبل القريب؛ لتقريب مضمون الجملة ولتأكيد حلول انتهاء الأجل وإن تأخر، مشعرة باليأس الذي انتابه، وتحطيم كل أمل كان يرتجيه ويتطلع إليه، مؤكدة على دنو أجل هذا الأب اللاجيء، وأنه سيوارى في التراب وسيصبح ذكرى بعد موته، وتتوالى عليه الظلمات، من ظلمة الليل في الدنيا وما تلم به الهموم والأحزان وظلمة القبر وغيرها، وهو ما نلحظه في قوله:(سيطوينى الغسق) وما يحمله حرف السين مع الفعل المضارع من دلالة على الاستقبال القريب، لدنوا أجله وقربه.

وإذ بشاعرنا –هاشم الرفاعي– يبرز تلك الصورة ويجعلها جلية واضحة يعيشها القارئ والسامع ويحسها كأنها رأى العين وواقع مشاهد من خلال تشبيهه للمعقول بالمحسوس؛ حيث شبه الغسق بإنسان يطوي، وشبه حياة هذا الأب اللاجيء بكتاب يطوى، بجامع الانتهاء في كل، بحلول وقرب انتهاء الأجل، وهو ما يفيض بمشاعر الهم والأسى والحزن؛ لأنه بهذا يكون فقد كل ما كان يأمله ويرتجي تحقيقه.

ويمكن أن يكون قوله: (سيطويني الغسق) استعارة مكنية[١] ، مبالغة في التأكيد على اقتراب ودنو أجله ورحيله.

كما يلحظ أن في إسناد الطي إلى الغسق في قوله: (سيطويني الغسق) مجاز عقلي بعلاقة الزمانية، إذ إن الهموم تجتمع علي ظهره وقت ظلام الليل، مع إن الليل وقت للراحة، إلا أنه مجمع لتلاقي الهموم والأحزان التى ستلقي به بالهلاك وانتهاء أجله.

كما نلحظ أن في لفظ (الغسق) مجاز مرسل علاقته الحالية؛ حيث أطلق الحال وأراد المحل، وهو ظلام الليل بأكمله، أو ظلمة القبر بعد موته ورحيلة؛ مبالغة في تصوير ما ألم به من الهم والأسى والحزن .أضف إلى ما يضفيه حرف (القاف) في قوله:(الغسق) في جهره وقوته، مع مخرجه من أقصى اللسان مع سقف الحنك الأعلى، وكأنها غصة أصابت حلق هذا الأب عند مخرجها، تفيض بمشاعر ومرارة ألم الفراق ولوعته لأهله ووطنه، ويأسه من تحقق أمله.

كما نلحظ أن التعبير بأكمله:(سيطويني الغسق) كناية عن اقتراب أجله ورحيله عن دنيا الناس، إلى الدار الآخرة، وفقدانه لتحقق أمله الذي كان يأمل تحقيقه بعد عودته إلى أرض وطنه مرة أخرى.

ثم يؤكد شاعرنا على فقدان أمل هذا الأب اللاجىء من خلال النفي والاستثناء في قوله: لم يبق من ظل الحياة سوى رمق، فما هى إلا أيام قلائل وسرعان ما تنتهى هذه الحياة بالنسبة له؛ معربًا عن حقيقة تلك الحياة الفانية بأنها (ظل) سرعان ما يختفي هذا الظل ويزول ويرحل، فهو من باب قصر صفة على موصوف، وطريقة النفي والاستثناء(لم يبق من ظل الحياة، سوى رمق)،

(١) حيث شبه الغسق بإنسان يطوي، وشبه حياة الأب بأكملها بكتاب يطوي، ثم حذف المشبه به في كلٍ، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الطي في كلٍ، على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات لازم المشبه للمشبه به قرينة المكنية استعارة تخييليةً .

وتلك مرارة أخرى تفيض بالأسى والألم واليأس يعيشها هذا اللاجيء بفقده لأمله باقتراب ودنو أجله.

ولعل –الشاعر– قد استمد عناصر تلك الصورة من حديث النبي–ﷺ– عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ:: ﴿ نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺعَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا﴾.(١)

ومن الملاحظ أن في تعريف شاعرنا–الرفاعي– للفظة :(الحياة) بلام الجنس؛ إشعارًا بحقيقة تلك الحياة الفانية وأنها إلى زوال، سرعان تنتهي وتنقضي شيئًا فشيئًا؛ وهذا واقع ملموس ومشاهد في حياة الخلائق.

٢–وَحُطامِ قَلْبٍ عَاشَ مَشْبُوبَ القَلَقْ
قَدْ أَشْرَقَ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا وَاحْتَرَقْ
جَفَّتْ بِهِ آمَالُهُ حَتَّى اخْتَنَقْ

ولم يزل شاعرنا–الرفاعي– يصور ويصف لنا تلك المعاناة التى يعيشها هذا الأب المكلوم النفس، المحطم القلب، إذ به تتوالى عليه الحسرات، وتلم به الخطوب والأحداث، واحدة تلو الأخرى، نلحظ هذا واضحًا جليًا من خلال عطفه بحرف (الواو) المقتضي للجمع والتشريك في الحكم للمفردات: (رمق، وحطامِ)، فهى مفردات تصف نفسية حزينه يائسة مهشمة أشرفت على الهلاك، فُقِد بها شعاع الأمل للعوة مرة أخرى لهذا الوطن الحبيب.

(١) الجامع الكبير= سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، تحقيق: بشار عواد معروف،١٦٦/٤،ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ١٩٩٨ م

وهذا ما أكدته-أيضًا- الاستعارة المكنية[١] في قوله:(وحطامِ قلبٍ)، وقوله:(مشبوب القلق)؛ مبالغة في تجسيم وتصوير هذا الحزن والأسى والقلق الذي تحياه تلك النفس اليائسة المحطمة المفعمة بشتى أنواع الألم والحسرات. وهو ما يوحي باضطراب نفس هذا الأب اللاجىء وتوترها وقلها وضيقها النفسي وعدم ارتياحها؛ لفقدها لما كانت ترجوه وتطمح إلى تحقيقه من الأمل المنشود في مستقبلها.

ويمكن أن تكون الصورة(حطام قلب)، (مشبوب القلق)استعارة تمثيلة، حيث شبه حال قلبه وقد ذاب وتهشم من كثرة الآلام والقلق والمعاناة، بهيئة شيء مادي اشتعلت فيه النيران، فأتت عليه وأحرقته، فلم تترك منه إلا حطامًا، بجامع الهلاك في كلٍ، وسرها، المبالغة في تصوير ما ألم بقلب هذا الأب من خطوب وأحداث جسام من تحت وطئة وظلم هذا العدوان الغاشم.

ثم يُبين شاعرنا عن ذكر مأساة أخرى انتابته وألمت به، ذلك من خلال لوعته وشوقه لوطنه السليب من قبل هذا الاحتلال، وما كان يجول بخاطره وتفكره لذكريات الماضي التي كان يعيشها فيه إذ بان فترة ريعان الشباب وقوته وأمله المشرق الذي كان يتطلع ويطمح إليه؛ لكن سرعان ما انطفأ نوره وتحطمت أحلامه وخابت آماله بتهجيره من قبل هذا الاحتلال وشيخوخته التى لحقته في غربته، وكأنه -بهذا- قد اقترب أجله وأصبح يودع الحياه وضاع كل أمل كان يسعى إليه، وهو ما يوحي بمدى الغصة والأسى والحزن والألم ومرارة العيش التى انتابت هذا الأب اللاجىء وسيطرة عليه في غربته، ذلك ما نلحظه من خلال ذكره لحرف التحقيق (قد) مع الفعل الماضي(أشرق) الدال على وقوع الفعل لا

(١) حيث شبه قلبه بشيء مادى متحطم، وشبه قلقه بشيء شبت فيه النيران فأحرقته، بجامع الهلاك والاحتراق في كل، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه، وهو التحطيم والاحتراق في كل، على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات لازم المشبه للمشبه به قرينة المكنية استعارة تخييلية .

محالة، والصورة بأكملها (قَدْ أَشْرَقَ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا...وَاحْتَرَقْ) استعارة تمثيلية؛ حيث حاله وهيئته في فترة شبابه بالمصباح المشرق المنير الذي يشع بنوره شعاع كل الأمل كان يسعى إليه، وشبه حاله وهيئته في فترة شيخوخته بالمصباح المنطفيء الذي بانطفائه يتلاشى معه كل حلم وأمل كان يرتجيه ويصبوا إليه، ثم يؤكد هذا الأب الاجيءعلى هذا المعنى وإبراز عاطفته وتجربته الحزينة التى سيطرة عليه من خلال الطباق-أيضًا- بين (أشرق- واختنق)، فهي ضروب متتالية من المؤكدات أتى بها شاعرنا لتؤكد وتقرر على تلك المحنة المؤلمة التي سيطرت على نفس هذا الأب اللاجيء-نفسه- وتقريرها في نفوس الآخرين، وهو ما أشار إليه أستاذنا الدكتور/ محمد أبو موسى في قوله بأن هناك:" ضروب من التوكيد لا ينظر فيها إلى حال المخاطب، وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه، ومدى انفعاله بهذه الحقائق، وحرصه على إذاعتها، وتقريرها في النفوس كما أحسها مقررة أكيدة في نفسه " .(١)

ومن ينعم النظر يلحظ مدى عمق الحزن والأسى داخل هذا الأب اللاجيء بفقده لأمله، من خلال المفردات: (قَدْ أَشْرَقَ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا...وَاحْتَرَقْ) وكأننا بهذا الأب اللاجيء لم يلبث أن التقط أنفاسه ليعبر عما يجول بخاطره، وكأن أنفاسه تلقي بزفرات ملتهبة تخرج من أحشائه معبرة أصدق تعبير عن فقدة لأمله الذي لم يدم طويًا، وهو ما نلحظه من التنكير لظرف الزمان (يومًا) وهي فترة قليلة من الزمان، ثم لم يلبث أن تلاشى وانطفأ شعاع النور والأمل لديه .

ثم تأتي الاستعارة التمثيلية-أيضًا-وهي ترشيح للاستعارة في قوله: (جَفَّتْ بِهِ آمَالُهُ حَتَّى ...اخْتَنَقْ)؛ لتكتمل بها تلك الصورة؛ مؤكدة على هذا المعنى، ومجسدة لما تحياه تلك النفس الحزينة من ألم وحزن شديد، تكاد أن ينفطر لها القلب من البداية حتى بلغ بها الهلاك في النهاية؛ حيث شبه هيئة قلبه وقد

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، تأليف: محمد محمد أبو موسى، ص:٩١، ط: مكتبة وهبة، ط: السابعة.

تحطمت آماله وأحلامه بعد تهجيره وخروجه من أرضه على يد هذا الاحتلال الصهيوني الغاشم، بهيئة المصباح الذي جفَّ زيت سراجه، فما عاد يستطيع أن يشتعل، فاختنق نوره وانطفأ بجامع الهيئة الدالة سرعة الفناء للشيء الذي لا يمد لسبب البقاء، وهو ما يشعر بنفس قد تحملت فوق طاقتها من الأسى والحزن والألم الكثير والكثير حتى أفقدها حياتها.

ثم لننظر إلى دقة الألفاظ والحروف وتخير الشاعر لها للتعبير عن هذه المحنة التى يتعرض لها هذا الأب اللاجىء، (قد-أشرق- احترق-اختنق) وما لحرف (القاق) بجهره وقوته وجلجلته مع مخرجه من أقصى اللسان مع سقف الحنك الأعلى من أثر بالغ في التعبير عن هذا المحنه والكربة في نفس هذا الأب اللاجىء، وكأنها حمم بركانية تخرج من فيِّ نفس مفعمة بالهم والحزن والأسى تفيض بالغصص والحسرات، وكأنها غصص أصابت حلق هذا الأب عند مخرجها، تفيض بمشاعر ومرارة ألم الفراق ولوعته لأهله ووطنه، ويأسه من تحقق أمله، وصلت لدرجة أن هذا الأب اللاجىء كان لا يسعفه النفس ليلقي ما بداخله دفعة واحدة، فكان يتوقف برة من الزمان ثم ينطق بكلمة واحدة(قَدْ أَشْرَقَ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا...وَاحْتَرَقْ

جَفَّتْ بِهِ آمَالُهُ حَتَّى ...اخْتَنَـــــقْ

وهو ما يوحي باليأس الشديد وخيبة الأمل وعاطفة الحزن التي سيطرة على نفس هذا الأب اللاجىء، فكان شاعرنا- موفقًا كل التوفيق في دقة اختياره للألفاظ وحروفها، للتعبير عما يجول بخاطر هذه النفس المكلومة.

٣- فَإِذَا نَفَضْتَ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك

وَمَضَيْتَ تَلْتَمِسُ الطَّرِيقَ إِلَى غَدِك

فَاذْكُرْ وَصِيَّةَ لَاجِىءٍ ..تَحْتَ التُرَاب

سَلَبُوهُ آمَالَ الْكُهُولَةِ ... وَالشَّبَاب

ولم يلبث هذا الأب اللاجىء بعد أن فرغ من بث شكواه لابنه ووصف حاله

لما يعنيه من ألم الفراق والاغتراب وما ألم به من المحن العضال، ورُغم كل ذلك لم يستلم أبدًا؛ بل سرعان ما وجَّه إليه وصية غالية ثمينة، بأن يواصل المسيرة خلفًا لوالده، ويتمسك بأرض وطنه الحبيب والعودة إليه، ويبذل من أجله كل غال ونفيث من أجل تحريره من يد هذا العدو الصهيوني الغاشم، ويحقق ما كان يطمح إليه هذا الأب اللاجيء من آمال وطموحات كبار كان يسعى إليها وهى تخليص وطنه السليب من تحت وطئة الاحتلال الصهيوني، ذلك ما نلحظه من حرف العطف (الفاء) الدال السرعة والفور المقترن بحرف الشرط (إذا)غير الجازم الدال على وقوع تحقيق الفعل في قوله:(فَإِذَا نَفَضْتَ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك) كناية عن فراغه من عملية دفنه لأبيه واستعداده لبداية حياة وعهد جديد، وبث روح الأمل فيه من جديد. ثم لنلحظ دقة اختيار الشاعر وبراعته الفائقة لمفردات الألفاظ ومناسبتها في قوله: (فَإِذَا نَفَضْتَ غُبَارَ قَبْرِي..) ولم يقل: (فإذا فرغت من دفني..)؛ إشعارًا وتحقيقًا للسرعة وعدم الدعة والتواني والتريث في هذا الأمر خاصة، وبث روح الأمل والهمة والجد والنشاط وعدم اليأس من جديد؛ كما أن فيه مناسبة لمجيء (فاء) العطف الدال على السرعة والفور. كما يلحظ –أيضًا–أن الهدف ليس الفراغ من دفن اللأب في قبره والاطمئنان عليه فحسب؛ بل السرعة والتطلع لأمل وعهد مشرق من جديد لتحقيق الهدف الأسمى الذي كان يرتجيه من تخليص وطنه السليب من وطئة هذا الاحتلال الصهيوني .

وهو ما يلحظ–أيضًا–في إسناد الغبار إلى القبر في قوله:(فَإِذَا نَفَضْتَ غُبَارَ قَبْرِي.) مجاز عقلي بعلاقته السببية، إذ الغبار ليس من القبر، ولكن متسبب عن تراب الأرض الذي يُهال على القبر لحظة دفن أبيه؛ مبالغة في التعجيل والإسراع لعملية الدفن، والنهوض على الفور لما كان يسعى إليه أبيه.

ثم يأتي العطف (الواو) المقتضي للجمع والتشريك في الحكم في قوله: (وَمَضَيْتَ ...) مشاركة في الإسراع بعد الإفراغ من عملية الدفن؛ إذ الإمضاء يقتضي الإسراع في التنفيذ، –من إمضاء السيف في القطع–؛ وفي هذا مبالغة في

الإسراع إلى تحقيق الأمل المنشود الذي حُرِم من تحقيقه هذا الأب اللاجىء. ثم يزيد-شاعرنا- بث روح الهمة والنشاط في ابنه ومواصلة المسير ليل نهار حتى يصل إلى أرض هذا الوطن السليب، ويسعى جاهدًا لتحريره من يد هذا الطغيان؛ ذلك ما نلحظه في قوله:(تلتمس الطريق..) ويتحسس الطريق؛ كي لا يقع فريسة ليد الأعداء قبل وصوله إلى أرض هذا الوطن الحبيب، وعبر (بالغد) قوله:(إِلَىَ غَدِك) كناية عن مستقبله القريب المشرق الذي ينتظره، ويمكن أن يكون في (الغد) استعارة تصريحة؛ مبالغة في تقريب مضمون الجملة ولتأكيد حلول إشراق هذا الأمل المنتظر وإن تأخر طويلًا.

ثم لنتأمل الموسيقى الداخلية من خلال الجناس الناقص -اللاحق-[1] بين (يدك- غدك) الذي يحدث نغمًا يؤثر في نفس السامع وتتطرب له الآذن، فتصغى وتنتبه إليه، وهو ما استعان به-شاعرنا الرفاعي- في وصية هذا الأب اللاجىء لابنه، كما في البدء بالشرط (فَإِذَا نَفَضْتَ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك) إقناعًا لهذا الابن لما يمليه عليه والده من تنفيذ لهذه الوصية.

ثم يأتي جواب الشرط (فَاذْكُرْ وَصِيَّةَ لَاجِىءٍ ..تَحْتَ التُرَاب) اتمام لتلك الوصية من هذا الأب اللاجىء لابنه، متضمنًا للنصح والإرشاد لهذا الابن وإلزامًا لتنفيذه ما يوصيه وبه هذا الأبن، والجملة بأكملها كناية عن فنائه وانقضاء أجله بالموت الذي ينقطع به آماله وأحلامه.

كما كان لوضع المظهر موضع المضمر في قوله: (فَاذْكُرْ وَصِيَّةَ لَاجِىءٍ...)، ولم يقل:(وصيتي) دلالته البالغة من خلال الأمر إلهابًا وتهيجًا لولده وإشعارًا لنار الثأر حتى يأخذ بثأر أبيه من هذا العدوان الغاصب.

---

(١) وهو الذي يكون الحرفان المتجانسان متباعدان في المخرج كقوله-تعالى-(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) [سورة الهمزة: ١] وقول بعضهم: "رب وَضِيّ غير رَضِيّ " بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف: عبد المتعال الصعيدي ،٤/٦٤٥،ط: مكتبة الآداب ، ط: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

وهذا ما أكدته الاستعارة المكنية[١] التى تفيض بالآلام والحسرات بما فعله به هذا الكيان الصهوني، بتهجيره من أرض وطنه، وسرق من أعظم مراحل عمره مرحلة الشباب، وما كان يطمح فيها ويحلم بتحقيقة، كما جاء في قوله:(سَلَبُوهُ آمَالَ الْكُهُولَةِ ... وَالشَّبَاب)؛ حيث شبه هذه الآمال والأحلام الذي كان يطمح إليها هذا الأب اللاجىء في شبابه، بشيء مادي يسلب ويسرق من صاحبه، بجامع الخفية في كل، كما أن بين (الكهولة –الشباب) طباقًا يوضح هذا المعني ويقويه ويؤكده؛ إشعار بحقيقة ما ألمَّ بهذا الأب من أحداث جثام من وطئة هذا لاحتلال.

*****

(١) حيث شبه هذه الآمال والأحلام الذي كان يطمح إليها هذا الأب اللاجىء في شبابه، بشيء مادي يسلب ويسرق من صاحبه، بجامع الخفية في كل، ثم حذف المشبه به في كلٍ، ورمز إليه بلازم من لوازمه، وهو السلب، على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات لازم المشبه للمشبه به قرينة المكنية استعارة تخييلية .

المبحث الثاني: مأساة الأب اللاجىء ومعاناته.

(أ) مأساة فقد الوطن.

٤-مَأْسَاتُنَا مَأْسَاةُ نَاسٍ أَبْرِيَاء
وَحِكَايَةٌ يَغْلِي بِأَسْطُرِهَا الشَّقَاء
حَمِلَتْ إِلَىَ الْآفَاق رَائِحَةُ الدِّمَاء
وَجَرِيمَتِي كَانَتْ مُحَاوَلَةُ الْبَقَاءِ

٥-أَنَا مَا اعْتَدَيْتُ وَلَا ادَّخَرْتُكَ لِاعْتِدَاء
لَكِنْ لِثَأْرٍ نَبْعُه دَامٍ .. هُنَا
بَيْنَ الضُّلُوعِ جَعَلْتُهُ كُلَّ ...الْمُنَى
٦- وَصَبَغْتُ أَحْلَامِي بِهِ فَوْقَ الْهِضَاب
وَظَمِئْتُ عُمْرِي... ثُمَّ مِتُّ بِلَا شَرَاب

لايزال الحزن والأسى يخيم على نفس هذا الأب اللاجىء، جراء ما ناله من تحت وطئة هذا الاحتلال الغاشم، بتهجيره القصري له، وتشريده له في البلـــدان، وفقده لوطنه السليب، وتركه وفراقه لأهله، وفقده لابنه الحبيب، فهى مأساة بكـــل المقاييس، تقص واقعًا مريرًا يعايشه هذا الأب، الذي كان يعيش حياة آمنة مطمئنة في وطنه بين أهله وأحبابه؛ بيد إن -الرفاعي- كان موفقًا وهو يقص تلك الحقيقة عن هذا الأب اللاجىء، وهو يتكلم في هذا المقطع ويبين -هنا-عن عدالة القضية الفلسطينية؛ ليرد عما يقال عنه من أنه إرهابي أو معتد ظالم عدواني، فهم أناس أبرياء لم يرغبوا في العنف ولا الحرب؛ ولكن الحرب هي التي فرضت عليهم من قبل هذا العدوان الصهيوني.

وقد بدأ -الرفاعي- بذكر مأساة ومعاناة هذا الأب اللاجىء صراحة لفقـــده لوطنه في قوله:(مَأْسَاتُنَا مَأْسَاةُ نَاسٍ..) مكررًا للفظ (المأساة)؛ تأكيدًا على شـــدة الحزن والحسرة والغصة التى يعاينها هذا الأب، لفقده لهذا الوطن السليب، وسطو هذا الكيان الصهيوني على خيراته وممتلكاته، مؤكدًا-أيضًا- على وحدة التـــرابط

بين أفراد الشعب الفلسطيني، وأن تلك (المأساة) ليست مأساة هذا الأب اللاجيء وحده؛ بل مأساة شعب بأكمله يعاني مثلما يعانيه هذا الأب؛ وإشعارًا بأن القضية الفلسطينية والدفاع عنها، ليست قضية خاصة بهذا الأب وحده؛ بل هي قضية شعب بأكمله، ذلك ما نلحظه في جمعه للفظ المأساة بالإضافة إلى (نا) الفاعلين وتكراره في قوله:(مَأْسَاتُنَا مَأْسَاةُ نَاسٍ أَبْرِيَاء)، ورشح هذا تنكيره لكلمة(ناسٍ أَبْرِيَاء)؛ للتعميم والتعظيم لهذا الشعب الأبي؛ وأنه شعب مسالمٌ نقيٌ، وليس عدوانيًا. فنلحظ أن كلمة (أبرياء) –هنا– مستعارة لمعاني المسالمة والفضيلة، فهم أناس مسالمون، لا يريدون شرًا ولا حربًا مع أحد.

ثم يخبر هذا الأب عن تلك المحنة التى يعاينها، بأنها محنة عظيمة، إن سطرت وكتبت في كتاب، لا يستطيع أي عقلي بشري أن يستوعبها من شدة هولها ووقعها على النفس؛ نظرًا لما يعانيه هذا الشعب من ظلم شديد وعدوان بيِّن من قِبَل هذا العدوان الغاشم، وهو ما نلحظه واضحًا جليًا من إسناد الغلي إلى أسطر الشقاء في قوله:(يَغْلِي بِأَسْطُرِهَا الشَّقَاء) فهو مجاز عقلي بعلاقة السببية؛ فالأسطر لا تغلي، وإنما يغلى الذي ما يتسبب عن قراءتها إن سطرت ودونت في كتاب يقرأ؛ مبالغة في هول وقع تلك المصيبة الملقاة على عاتق هذا الشعب الأبي من وطئة هذا الاحتلال الغاشم، فلا تسطيع النفس أن تتحملها.

وهذا ما أكدته الاستعارة المكنية[١]–أيضًا–في قوله:((يَغْلِي بِأَسْطُرِهَا الشَّقَاء) ؛ مبالغة في تصوير وتجسيد هول تلك المصيبة التي حلَّت على هذا الشعب الأعزل، وهذا الوطن السليب من قبل هذا العدو الغاشم.

(١) حيث شبه ما يعانيه هذا الأب اللاجيء –هو– وشعبه الأعزال تحت وطئة هذا الاحتلال من ظلم وعدوان بيِّن من دمار شامل، بالماء الذي يغلي ويتقطع من شدة النار تحته، بجامع الحركة والثوران في كل، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو الغليان على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينة الاستعارة المكنية استعارة تخييلية.

ولا مانع أن يكون:(يغلي الشقاء) استعارة تبعية في كلمة (يغلي)أى: يشقى، وجعل الشقاء يشقى، مجاز عقلي علاقته المصدرية؛ مبالغة في الدلالة على المعاناة التى يلاقونها من ظلم هذا الكيان الصهيوني.

كما نلحظ في حذف المسند إليه في قوله:(وحكاية) ومجيئها منكرة ، والتقدير وحكايتنا حكاية يغلي بأسطرها الشقاء، تفخيمًا وتهويلًا لشأنها.

ثم يؤكد-الرفاعي- على لسان هذا الأب اللاجىء أن تلك المأساة التى يعانيها هذا الشعب الأعزل من قِبَل الاحتلال الإسرائيلي على مرىء ومسمع هذا العالم أجمع، هي حكاية شنيعة بشعة حملت معها رائحة الدماء الذكية لضحايا هذا الشعب الأعزل من استشهاد وقتل متعمد للشيوخ والأطفال والنساء الأبرياء، ليدرك هولها ووقعها كل من سمع بها، وكأنها واقع مشاهد أمامه، كما جسدته وصورته الاستعارة التمثيلية[1] في قوله:(حَمِلَتْ إِلَىَ الْآفَاق رَائِحَةُ الدِّمَاءِ) ؛مبالغة في تصوير وتجسيد هولها وفظاعة شأنها.

ثم يُبين هذا الأب اللاجىء من خلال حرف العطف(الواو) المقتضي للجمع والتشريك أن جريمته الوحدة هو وشعبه التى جعلت العدو الصهيوني ينل منهم كل هذا من قتل وتهجير وسلب للممتلكات، هى محاولة بقائه والصمود والدفاع عن وطنه السليب وتحريره وتخليصه من تحت وطئة هذا العدو الصهيوني الغاشم، والحقيقة أن هذه لم تعد جريمة في حقه؛ بل هي عين الحقيقة والعدالة لهذه القضية؛ لكن -الرفاعي- برع براعة فائقة في التعريض بهذا العدو الغاشم من خلال لفظ الجريمة على لسان هذا الأب اللاجىء في قوله:(وَجَرِيمَتِي كَانَتْ مُحَاوَلَةُ الْبَقَاءِ)، رشح هذا ما أخبر به عن عدالة تلك القضية، من خلال إخباره عن معنى الشكوى وبيان المظلومية وتقديمة للمسند إليه وتعريفه له بضمير

(١) حيث شبه حال حكايته وقومه، في أن كل من يسمع بها يدرك ما لاقوه من ظلم وعدوا ن وقتل وتشريد للأبرياء وكأنه يراها، بهيئة هواء يحمل رائحة هذه الدماء، فيدرك ما كل من يشمها ما وراءها من أنباء وأحداث جسام تقع على هذا الشعب الأبي.

المتكلم في قوله: (أَنَا مَا اعْتَدَيْتُ وَلَا ادَّخَرْتُكَ لِاعْتِدَاء) معلنًا بهذا أنه لم يكن عدوانيًا ولا ظالمًا لأحد مهما كان؛ بل كان مسالمًا طيب القلب حسن النوايا والعطايا، وفي هذا تعريض-أيضًا-بهذا العدو من أنه هو الذي اعتدى وظلم وقهر وأخذ الأرض وسلب الوطن عنوة وغصبًا.

كما أن في الادخار في قوله:(وَلَا ادَّخَرْتُكَ لِاعْتِدَاء) مجازًا عن الاستعداد؛ لأنه من يدخر شيئًا يريد به أن يكون مستعدًا لنوائب الدهر وحدثاته، فهو مجاز مرسل بعلاقة السببية؛ مبالغة في مسالمته وحسن نواياه.

ثم يأتي قصر القلب مؤكدًا على -هذا- تمام التأكيد؛ ليقلب على المخاطب اعتقاده إنَّ ظن ذات يوم من أنه كان عدوانيًا لأحد في قوله:(أَنَا مَا اعْتَدَيْتُ وَلَا ادَّخَرْتُكَ لِاعْتِدَاء لَكِنْ لِثَأْرٍ نَبْعُه دَامٍ ..هنا) فالذي دفعه وحرضه على هذا هو مجابهة هذا العدو الغاشم الذي سلب الذي اعتدى عليه وسلب خيرات وطنه وممتلكاته، وهو ما أكدته الاستعارة المكنية[1] في قوله:(لِثَأْرٍ نَبْعُه دَامٍ ..هنا) حيث صور الثأر بجرح يدمي ؛ مبالغة في تجسيد وتصور هذا الجرح من القتل والسلب والنهب والتشريد الذي خلفه هذا العدو الصهيوني.

ومن ينعم النظر يجد أن قوله:(نَبْعُه دَامٍ ..هنا بين الضُّلوع جَعَلْتُه كُلَّ.. المُنى) والمراد: في القلب فهو مجاز مرسل علاقته المحلية أطلق الحال وأراد المحل؛ مبالغة في عمق هذا الجرح الذي لا يندمل من قبل هذا العدوان الظالم. ويمكن أن يكون قوله (بين الضلوع) كناية عن موصوف وهو القلب، وهو أصدق دليل على أن هذا الثأر والنيل من هذا العدو لا ينفك عنه أبدًا، حيث جُعل أغلى وأعظم المنى عنده، فلقد عقد العزم على أن يكون كل أمله وأحلامه ومناه هو تخليص هذا الوطن وتحريره من ظلم هذا الكيان الصهيوني، فلم ينس ذات الدماء

(١) حيث شبه ثأره، بجرح عميق ينزف دمًا، بجامع السيلان في كلٍ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو الدم، على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات لازم المشبه للمشبه به قرينة المكنية وهى استعارة تخييلية .

التي أريقت من أجله؛ مبالغةً وإلهابًا وتهيجًا وتأكيدًا في التمسك وعدم التفريط في تراب هذا الوطن، والسعي الدؤوب إلى تحريره من طغيان وظلم هذا العدوان الصهيوني.

وهو ما أكدته وصورته وجسدته الاستعارة المكنية[١] في قوله:(وَصَبَغْتُ أَحْلَامِي بِهِ فَوْقَ الْهِضَابِ)؛ حيث جعل كل أحلامه حلمًا واحدًا وهو النصر على هذا العدو ودحره ، وقوله:(فَوْقَ الْهِضَابِ) كناية عن مقاومته الشرسة لهذا الكيان الصهيوني.

ثم يُبين هذا الأب عن مرارة الحزن والأسى والألم والمحنة التى انتابه طيلة حياته من جراء هذا العدو- استكمالًا للصورة السابقة- من خلال حرف العطف (الواو) المقتضي للجمع والتشريك في قوله:(وظمت عمري..) كناية عن استعمار هذا العدو ومناضلته له، وفيه-أيضًا- مجاز عقلي من خلال إسناد الظمأ إلى العمر بعلاقة الزمانية؛ إذ العمر لا يظمأ وإنما الذي يظمأ هو نفس هذا الأب اللاجىء المكلومة، مبالغة في النضال الجهاد من أجل تحرير هذا الوطن وحريته على مر الزمان، وتخليصه من يد الظلم الطغيان، ثم تنقطع أنفاس هذا الأب ويتوقف برهة، تخرج بعدها أنفاسه متقدة لها زفرات، معبرة بكلمات تفيض بمعاني الأسى والغصة والحسرات وخيبة ، مستبعدًا بعد كل هذا الجهد والعناء أن يلقى حتفه بتهجيره من أرض وطنه وموته خارج بلاده وفقدانه لأمله -تحرير وطنه -الذي كان يرتجيه ويطمح إلى تحقيقه:(وظمت عمري.. .. ثُمَّ مِتُّ بِلَا شرابٍ) أي: بلا حرية كناية عن فقده لأمله، وهو ما نراه ونشاهده في غزة والمدن الفلسطينية من قبل هذا العدو الصهيوني اليوم.

---

(١) حيث شبه أحلامه بشيء مادي يصبغ ، بجامع الطلاء في كل، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من من لوازمه، وهو الصبغ، على سبيل الاستعارة المكنية. وإثبات لازم المشبه للمشبه به قرينة المكنية استعارة تخييلية .

والصورة بأكملها(وَظَمِئْتُ عُمْرِي ثُمَّ مِتُّ بِلَا شَرَاب)استعارة تمثيلية[١]، لتصوير وتجسيد تلك الصورة المعنوية بالصورة الحسية الملموسة؛ كي يراها السامع وكأنها واقع مشاهد؛ مبالغة في مرارة الحسرة والأسى والحزن الذي يعانيه هذا الأب من قبل هذا الاحتلال الصهيوني الغادر.

(ب): مأساة فقد الابن:

٧-كَانَتْ لَنَا دَارٌ وَكَانَ لَنَا وَطَنْ
أَلْقَتْ بِهِ أَيدِي الْخِيَانَةِ لِلمِحَنْ
وَبَذَلْتُ فِي إِنْقَاذِهِ أَغْلَى ثَمَنْ
٨-بِيَدِي دَفَنْتُ فِيهِ أَخَاكَ بِلَا كَفَنْ
إِلَّا الدِّمَاءَ وَمَا أَلَمَّ بِيَ الْوَهَنْ
٩-إِنْ كُنْتُ يَوْمًا قَدْ سَكَبْتُ الأَدْمُعَا
فَلَأَنَّنِي حُمِّلْتُ فَقْدِهِمَا ..... مَعًا
١٠-جُرْحَانِ فِي جَنْبَيَّ ثَكْلٌ وَاغْتِرَاب
وَلَدٌ أُضِيعَ... وَبَلْدَةٌ رَهْنَ الْعَذَاب

وهذه مأساة أخرى يعايشها هذا الأب اللاجيء؛ استكمالًا للصورة السابقة في المقطع السابق، بتذكره لماضيه التليد السعيد وعيشه حرًا عزيزًا على أرض وطنه العزيز، قبل أن يقع فريسة تحت سطو هذا الكيان الصهيوني الغاصب، الذي بذل في إنقاذه أغلى ثمن وأعز ما يملكه وهو فلذة كبده-ابنه- الذي دفنه بيديه.

وقد بدأ هذا الأب اللاجيء حديثه بالإخبار عن هذه المأساة بالأسلوب الخبري في الماضي: (كَانَتْ لَنَا دَارٌ وَكَانَ لَنَا وَطَنْ) ؛ ليحكي لنا قصة هذا الوطن السليب الذي وقع فريسةً في شباك هذ العدو الغاشم، وهى زفرة تخرج من نفس

(١) حيث شبه حاله في فقده لأمله باستعمار هذا الكيان الصهيوني له مع اقتراب أجله ورحيله، بهيئة حال من يمت عطشًا بلا شراب، بجامع المنع والحرمان في كل، ثم استعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

حزينة مفعمة بالأسى والحزن والحسرة على فقدان هذا الأب لوطنه الحبيب، فهو أسلوب خبري غرضه التحسر والتحزن على فقد هذا الوطن الحبيب، مؤكدًا على مكانة هذا الوطن في قلبه من خلال تنكيره لكلمتي (دار)، (وطن) فهو تنكير مفاده التفخيم والتعظيم لتراب هذا الوطن السليب. مؤكدًا على ملكيته لهذا الوطن من خلال التعبير بلام الملكية في قوله (لنا) ، وتقديم خبر كان على اسمها(كانت لنا دار.. وكان لنا وطن) لا لغيرنا الغاصبين المعتدين، معرِّضًا بهذا الكيان الصهيوني الغاصب، بسطوه على خيرات وممتلكات هذا الوطن باحتلاله له . ولذا عبَّر بقوله:(أَلْقَتْ بِهِ أَيدِي الْخِيَانَةِ..)؛ إشعارًا وتحقيقًا لملكية هذا الوطن له ولشعبه الأعزل، وليس لهذا العدوان الظالم الغاصب؛ الذي ألقى عليه كالسطو الذي يلقى على شيء ليس ملكًا له، وهو ما أكدته وصورته الاستعارة المكنية[١]– أيضًا– في قوله:(أَلْقَتْ بِهِ أَيدِي الْخِيَانَةِ لِلمِحَنْ)؛ مبالغة في بيان ظلم وجور هذا الكيان الصهيوني في نهبه وسطوه على خيرات هذا الوطن السليب الأعزل.

كما أن في قوله:(أَيدِي الْخِيَانَةِ..) كناية عن صفة هذا العدو الغاشم، فهم أهل قوم أهل جور وظلم وطغيان لا عهد لهم ولا ذمة، شيمتهم الغدر الخيانة والجور والظلم ، وفي هذا تأكيد وتثبيت وترسيخ في الأذهان على ظلم وجرم هذا الكيان الصهيوني على هذا الوطن السليب ولهو أصدق دليل وبرهان على جوره واعتدائه على هذا الوطن السليب وهذا الشعب الأعزل.

ثم يُبين هذا الأب اللاجيء أنه لم يقصر في تراب هذا الوطن ولم يتوان برهة في الدفاع والذود عنه ضد هذا العدو؛ بل بذل كل غال ونفيس وثمين؛ بل فقد فلذة كبده–ابنه– الذي راح شهيدًا كغيره من شهداء هذا الوطن، من أجل

(١) حيث شبه هذا العدوان الخائن في احتلاله وسلبه وسطوه على خيرات وممتلكات وحريات هذا الوطن، بلصٍ يسطو على مال أو شيء ثمين يسرقه وينهبه بجامع النهب والسلب في كلٍ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه ، وهى اليد، على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات لازم المشبه للمشبه به قرينة المكنية استعارة تخييلية .

تحرير وتخليصه من وطئة هذا الاحتلال الصهيوني، ذلك من خلال إخباره المفيد لمعاني الحسرة والأسى في قوله:(بِيَدِي دَفَنْتُ فِيهِ أَخَاكَ بِلَا كَفَنْ) ، ثم التأكيد بلفظ (فيه)؛ مبالغة في تمسكه والدفاع عنه والتضحية من أجل تحريره من هذا العدو الغاشم. كما أن في الجملة –أيضًا– إلهابًا وتهييجًا[1] للمخاطب ؛ ليأخذ بثأر أخيه.

وقوله: (بِلَا كَفَنْ) كناية عن كون ابنه قد مات شهيدًا على يد هذا الكيان الصهيوني، ودفنه بيديه مكفنًا بثيابه ملطخًا بدمائه، كما يدفن الشهداء.

ثم يُبين هذا الأب اللاجىء أنه لم يخر وسعًا في إنقاذ هذا الوطن وتحريره وتخليصه من يد هذا الاحتلال الغاشم؛ فلقد بذل في تحريره وإنقاذه أعز ما يملك وهو فقده لابنه الذي مات شهيدًا أمام عينه كما جاء في قوله:(وَبَذَلْتُ فِي إِنْقَاذِهِ أَغْلَى ثَمَنْ) وهذه كناية تحمل في طياتها الدليل مع البرهان؛ ترسيخًا وتأكدًا في عقيدة كل فلسطيني عدم التهاون والتفريط في تراب هذا الوطن والوقوف بالمرصاد أمام هذا العدو ودحره، وتحرير هذا الوطن من تحت ظلمه وطغيانه.

كما أن قوله :(أغلى ثمن) كلمة مبهمة جاء توضحها في قوله:(دَفَنْتُ فِيهِ أَخَاكَ) فهى توضيح بعد إبهام؛ تأكيدًا على تمسكه بوطنه وتحريره من هذا الاحتلال الصهيوني.

ثم يأتى الاستثناء المنقطع(إِلَّا الدِّمَاءَ وَمَا أَلَمَّ بِيَ الْوَهَنْ) ؛ ليُبين عن مدى هول وقع هذا الموقف على نفسه ، فهو استثناء منقطع ، لا يدخل المستثنى في عموم المستثنى منه؛ إشعارًا بعدم نسيانه لابنه مدى حياته، وعدم انفكاك الثأر لابنه من هذا العدو الغاشم، فهو ملازم له دائمًا في ذاكرته . ورشح هذا قوله:(وَمَا أَلَمَّ بِيَ الْوَهَنْ) أي: الضعف والهزال وهو –هنا– مستعار لليأس؛ لبيان مدى

(١) الإلهاب والتهييج: وهما عبارتان عن الحثّ على الفعل لمن لا يخلو عن الإتيان به، وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه تركه. : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز .تأليف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ . ١٦٠/٣. ط: المكتبة العنصرية – بيروت ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

صموده وقوته وعدم يأسه وحيطته وسعيه الدؤوب؛ لتحقيق هدفه المنشود، وهو تحريره لوطنه الحبيب من هذا الاحتلال الصهيوني.

ثم يجعل هذ الأب مندوحة لنفسه بسكبه للدموع الغزارى رُغم قوة تحمله وتجلده؛ غير أن المصاب جلل، ووقعه عظيم على نفسه، وهو يعلم بأن الدموع رحمة يلتمس بها هذا الأب تخفيف ألمه وحزنه وحسرته، وذلك من خلال تعبيره بالشرط بـ(إنْ) في قوله:(إِنْ كُنْتُ يَوْمًا قَدْ سَكَبْتُ الأَدْمُعَا)؛ لبيان مدى قوة تحمله، واستبعاد أن تسيل منه تلك الدموع الغزيرة بسهوله، فهو بذلك يلتمس العذر لنفسه أولًا، ويريد من ابنه أن يلتمس العذر له –أيضًا– لشدة وقع هذا المصاب من فقده لابنه، ووطنه، رشَّح –هذا– قوله:(يومًا)بالتنكير؛ لبيان قلة هذا الأمر وندرته، وكنى بسكب العين عن فراقه وفقده لفلذة كبده–ابنه– وطنه الحبيب.

وتأتي الاستعارة المكنية[1]:(قَدْ سَكَبْتُ الأَدْمُعَا)؛ لبيان مدى غزارة تلك الدموع على فقد كل من فلذة كبده، ووطنه الحبيب.

ورُغم تلك الدموع الغزارى: (الأدمعا) إلا أنها قليلة بالنسبة لهذا المصاب الجلل، فـ(الأدمعا) جمع قلة، فهي بالرغم من كثرتها، قليلة بالنظر إلى عِظَم الفقد وفداحة الثكل.

ثم يأتي جواب الشرط وجزاؤه(فَلَأَنَّنِي حُمِّلْتُ فَقْدِهِمَا .....مَعًا) ؛ إقناعًا، لنفسه ولابنه بالحجة والدليل في استباحة تلك الدموع الغزارى لهذا الفقد؛ لأنه قد تحمَّل بفقدهما معًا، مالا تسيطيع أي نفس بشرية أن تتحمله؛ لعظم هذا المصاب والخطب الجلل، رشَّح هذا قوله:(حُمِّلْتُ) بالبناء للمجهول مع بالشديد، فهو أمر قُدِّر وفرض عليه، فهو ابتلاء عظيم ووقع ثقيل على النفس.

---

(١) حيث شبه دموعه على هذا الفقد بالماء المنهم بغزارة بجامع السيلان في كلٍ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو السكب، على سبيل الاستعارة المكنية.

وهو ما أكدته الاستعارة المكنية(١) في قوله:(حُمِّلْتُ فَقْدِهِمَا)؛ مبالغة في تصوير شدة الفقد ومرارة الثكل، بحمل ثقيل فوق ظهره لا يستطيع أن يتحمله.

ثم يأتي التفصيل بعد الإجمال أو الإيضاح بعد الإيهام: (جُرْحَانِ فِي جَنْبَيَّ ثَكْلٌ وَاغْتِرَاب)؛ لبيان جذب انتباه المخاطب أو السامع لشدة هذا الخطب الجلل من مرارة الثكل وعظم الفقد ووقعه على النفس. فنجد أن للإيضاح بعد الإبهام، أو للتفصيل بعد الإجمال دلالته البالغة في لفت وجذب انتباه السامع وتشوقه وترقبه لما يخبر به هذا الأب اللاجيء من شدة ما هذا الخطب والحدث الأليم وهو ما أشار إليه الإمام عبد القاهر في قوله:" وجملةُ الأمر أنه ليس إعلامُك الشيءَ بغتةً غفلًا، مثْلَ إعلامِك له بعْدَ التنبيهِ عليه والتقدمةِ له، لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام. ومن ههنا قالوا: إنَّ الشيءَ إذا أُضْمِر ثمَّ فُسِّر، كان ذلك أفخمَ له مِنْ أن يُذكَر من غير تقدمة إضمار".(٢)

ثم لننظر شدة هذا الخطب الجلل ووقعه على نفس هذا الأب في قوله:(فِي جَنْبَيَّ)؛ للإشارة إلى شدة هذين الجرحين وأنهما كانا كفيلين أن يقضيا عليه. رشَّح هذا الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله:(جرحان) حيث صور وشبه استعمار الوطن وثكل الولد بالجرحين اللذين ينزفان دمًا، مبالغة في عمق هذا الحزن والأسى والحسرة في نفس هذا الأب ؛ لفقد أعز ما يملكه ابنه ووطنه الحبيب من قِبَل هذا الاحتلال الخائن.

وأكَّد هذا الحزن والأسى والحسرة لدى هذا الأب المكلوم النفس-أيضًا- اتباعه هذا البيان ببيان آخر في قوله:

(وَلَدٌ أُضِيعَ... وَبَلْدَةٌ رَهْنَ الْعَذَاب).

---

(١) حيث شبه شدة الفقد ومرارة الثكل ، بالحمل الثقيل فوق ظهر البعير في كل، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو الحمل، على سبيل الاستعارة المكنية.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ص: ١٣٢، ط:مطبعة المدني بالقاهرة / دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

المبحث الثالث: إحياء ذكريات الطفولة عند الابن على أرض الوطن السليب بين اليأس والرجاء.

(أ): إحياء ذكريات الطفولة عند الابن على أرض هذا الوطن.

١١- تِلْكَ الرُّبُوعُ هُنَاكَ قَدْ عَرَفَتْكَ طِفْلًا
يَجْنِي السنا والزَّهْرَ حِينَ يَجُوبُ حَقْلًا
فَاضَتْ عَلَيْكَ رِيَاضُهَا مَاءً وَظِلًّا

١٢-وَالْيَومَ قَدْ دَهَمَتْ لَكَ الأَحْدَاثُ أَهْلًا
وَمُرُوجُكَ[1] الْخَضْرَاءُ تَحْنِي الْهَامَ ذُلًّا

(ب): شحذ همة الابن للدفاع والتمسك بوطنه السليب وتحريره.

١٣- هُمْ أَخْرَجُوكَ فَعُدْ إِلَى مَنْ أَخْرَجُوك
فَهُنَاكَ أَرْضٌ كَانَ يَزْرَعُهَا ... أَبُوك

١٤ -قَدْ ذُقْتَ مِنْ أَثْمَارِهَا الشَّهْدَ الْمُذَاب
فَإِلَامَ تَتْرُكَهَا لِأَلْسِنَةِ الْحِرَاب ؟

يحاول الأب اللاجيء في هذا المقطع المكون من النقطتين (أ، ب) أن يحيى في ذاكرة ابنه ذكريات الطفولة الجميلة التى كان يتمتع بها ويحياها على أرض على الوطن السليب، حيث الهواء الطلق، والتنقل في الحقول بين الزروع والزهور الخضراء، ومشاهد سنابل القمح وتمايلها لها ضوء وبريق كضوء القمر، وكذا الرياض الخضراء التى كانت تفيض عليك من بركاتها ماءًا وظلًا، لكن للأسف لم تدم تلك السعادة يابني على أرض هذا الوقت كثيرًا، فسرعان ما جاء هذا الكيان الصهيوني الغاشم، ليسلبها منك وينقض عليها انقضاض الأسد على الفريسة، لتحل به المصائب والنوازل عل الأهل والأحباب، ويتشردوا ويتفرقوا في البلدان، فالذي أخرجك هم هؤلاء الصهاينة، فعد إليهم كما أخرجوك من وطنك

(١) مرج: قَالَ اللَّيْث: الْمَرْجُ أَرْضٌ واسِعةٌ فِيهَا نَبْتٌ كَثير تَمْرَجُ فِيهَا الدَّواب وجمعُها مُروج. تهذيب اللغة،. ٥٠/١١

الحبيب، وأخرجهم منه ولا تدع لهم خيرات وطنك التى تركتها أجداك، فلقد ذقت من أثمارها الشهد المذاب، فدافع عنها بكل غال ونفيس ولا تتركاها تحت بطش هؤلاء الصهاينة المعتدين الظالمين.

وقد بدأ هذا الأب اللاجىء بالإخبار عن ماضيه التليد وذكرياته الجميلة على أرضه السليب بالإشارة لغير العاقل بقوله:(تِلْكَ الرُّبُوعُ..) بالإشارة إلى غير الحاضر وتنزيله منزلة الحاضر؛ ليستحضر صوتها الجميلة أمام عينه ويُبين عن مدى حقه عليه ؛ لينتصر لها ويحررها من بطش هذا العدو الغاصب. مؤكدًا لما كان يتمتع به من خيرات على ربوع أرضه والتنقل بين جنبات حقوله، ذلك ما نلحظه من قوله:(قد عرفتك طفلًا) تأكيدًا وإشارة إلى كثرة ما كان يتمتع به من مروج خضراء وأنهار وزروع وثمار يانعات كان يتمتع به، كما كان للفظ (طفلاً) وتنكيره دلالته البالغة إلى عظم حقه ووجوب رد الجميل عليه لهذا الوطن السليب بتحريره من ظلم هذا العدوان .

كما أكدت على هذا الحق-أيضًا- الاستعارة المكنية في قوله:(قد عرفتك طفلًا) حيث شبه تك الربوع بإنسان يعي ويعرف هذا الطفل الذي كان يرتع في نواحي هذا الوطن ويسعد به ويتنقل بين جنابات حقوله ومروجه الخضراء. وفيها من المبالغة في تصوير وتجسيد تلك الصورة ؛ لاستحضارها أمام عينه.

ثم تأتي الجملة في الشطر التالي(يَجْنِي السنا والزَّهْرَ حِينَ يَجُوبُ حَقْلًا) نعتًا لهذا الطفل لما كان يتمتع به من خيرات على ربوع وطنه السليب وهم مما يفيض بمشاعر الألم والحزن لدى هذا الأب اللاجىء، والنعت يصور ويستحضر لهذا الطفل ما كان يتمتع به في صغره بجمال القمر وضوئه وألوان الزهر في تلك الربوع وتلك المروج والرياض الغناء.

كما أن في الجملة -أيضًا-(يَجْنِي السنا والزَّهْرَ حِينَ يَجُوبُ حَقْلًا) استعارة مكنية[١] وفيها من التجسيد والتصور لاستحضار تلك الصورة في ذاكرة هذا الابن.

ولم يزل هذا الأب اللاجئ ينعت لهذا الابن ما كان يتمتع وينعم به في طفولته في ربوع وطنه السليب؛ استكمالًا للصورة السابقة، فيقول:(فَاضَتْ عَلَيْكَ رِيَاضُهَا مَاءً وَظِلًّا) ؛ ليُبين عن حق تلك الربوع عليه؛ ليشحذ همته ليسعى جاهدًا لتحريره من تحت وطئة هذا الاحتلال الغاشم.

وهو ما أكدته-أيضًا- الاستعارة التبعية[٢] في قوله:(فاضت)؛ مبالغة في وفور تلك النعم والخيرات التى كان يتمتع بها هذا الابن إذ بان طفولته على أرض وطنه السليب. رشَّح هذا الفيض العميم في الخيرات تنكيره لكلمتي: (ماءً، ظلًا) تعظيمًا وتفخيمًا ووفورًا لتلك النعم العظيمة التى يتمتع بها في طفولته.

كما كان لتقديم الظرف في قوله:(عليك) دلالته في بيان مدى هذا حق هذه النعم والخيرات عليه؛ ليأخذ بثأرها من هذا العدوان الغاشم.

ثم يأتي العطف بـ(بالواو) المقتضي للمغايرة؛ لينقلنا -شاعرنا هاشم الرفاعي-إلى محنة جسيمة يعاينها هذا الأب اللاجئ؛ ليُبين لابنه عن أن تلك السعادة والهناءة لم تدم طويلًا، وهو ما يشعر بيأس وخيبة أمل وحسرة يعاينها هذا الأب اللاجئ من جراء هذا العدو الغاصب:(وَالْيَومَ قَدْ دَهَمَتْ لَكَ الأَحْدَاثُ أَهْلًا) ، واليوم -هنا-مستعار للزمن القريب الذي وقعت فيه تلك الأحداث والخطوب الداهمة التى تعانيها أيها الابن والشعب الفلسطيني الأعزل من ظلم هذا العدوان وسلبه لتلك الخيرات والممتلكات في احتلاله لهذا الوطن السليب، مؤكدًا عظم تلك

---

(١) حيث شبه ضوء القمر بشيء مثمر يُجني ويقطف بجامع الجمع في كل، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه، وهو الجني على سبيل الاستعارة المكنية.

(٢) حيث شبه وفور الماء والظل في هذه الرياض، بالفيض بجامع الكثرة والغزارة في كل ،ثم استعير الفيض للوفور والغزارة، ثم اشتق من الفيض (فاضت في الماضي) بمعنى وفر وغزر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل .

الخطوب والأحداث التى دهمت هذا الابن من جراء هذا العدو الغاصب، في قوله:(قَدْ دَهَمَتْ لَكَ الأَحْدَاثُ أَهْلًا) ؛ لبيان عظم هذا الخطب وشدة وقعه على نفس هذا الابن.

كما أن في قوله :(قَدْ دَهَمَتْ لَكَ الأَحْدَاثُ) مجاز عقلي علاقته السببية؛ إذ الاحداث لا تدهم؛ بل بل كانت سببًا فيما ألم بهذا الابن من الآلام والأحزان. وفيه من المبالغة في هول وفظاعة تلك الأهوال ووقعها على نفس هذا الابن. كما أن في التنكير لكلمة:(أهلًا) ما يدل على التهويل والتفخيم لتلك الخطوب التى ألمت بهذا الابن الفلسطيني الأعزل.

وفي الجملة: (دَهَمَتْ لَكَ الأَحْدَاثُ أَهْلًا) استعارة مكنية؛ تجسيدًا وتصويرًا لهول تلك الأحداث ووقعها على نفس هذا الابن.

ثم يؤكد-شاعرنا الرفاعي-ملازمة تلك المأساة له بتذكرة لخيرات وطنه، وما كان يتنعم به من الخيرات والبركات العميمة من المروج الخضراء من الزروع والزهور والثمار والرياض الغناء في ربوعه والتنقل بين جنبات حقوله، التى تنحني لها الرقاب إجلالًا وإكبارًا لها، في قوله:(وَمُرُوجُكَ الْخَضْرَاءُ تَحْنِي الْهَامَ ذُلًّا) ففي الجملة استعارة تمثيلية[1]؛ مبالغة في مدى جمال وبهاء مناظرها الجميلة. كما أن فيها-أيضًا-كنايةً عن صفة تلك المروج والحدائق والرياض الغناء، وبيان مدى جمالها.

كما أن في إضافة المروج إليه في قوله:(ومروجك ..) دلالة على التلازم له، كما أن في الجملة:(ومروجك (الخضراء) إيجاز بحذف جملة أى: (ومروج وطنك) فهو إيجاز يطوي الكلام طيًا للوصول إلى إظهار وتجلية وبيان مدى جمال

(١) حيث شبه هيئة تلك المروج الخضراء وما بها من جمال باهر، يجعل الرقاب تنحني لها إجلالًا وإكبارًا، بهيئة شيء عظيم أو شخص ذو مكانة تنحني له الرقاب عند رؤيته، بجامع الخضوع والانكسار في كلٍ، ثم استعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

تلك المروج وبهائها. كما أن في الحال المؤكدة لـ(تحني الهام) في قوله:(ذلًا) بيانًا وإشعارًا لإجلالها وإكبارها وتعظيمًا وتفخيمًا لشأنها.

(ب): شحذ همة الابن للدفاع والتمسك بوطنه السليب وتحريره.

١٣- هُمْ أَخْرَجُوكَ فُعُدْ إِلَى مَنْ أَخْرَجُوك

فَهُنَاكَ أَرْضٌ كَانَ يَزْرَعُهَا ... أَبُوك

١٤-قَدْ ذُقْتَ مِنْ أَثْمَارِهَا الشَّهْدَ الْمُذَاب

فَإِلَامَ تَتْرُكَهَا لِأَلْسِنَةِ الْحِرَاب ؟

يريد هذا الأب اللاجىء أن يشحذ همة ابنه ويوصيه بتلك الوصية؛ كي يضعها نصب عينية، أن يبذل كل غال ونفيس ومواصلة الكفاح ليل نهار؛ لخروج هذا الكيان الصهيوني من وطنه السليب، وتحريره من تحت وطئة هذا العدو الغاشم، ذلك ما نلحظه من خلال القصر بالتقديم:(هُمْ أَخْرَجُوكَ..) أي: أخرجوك ظلمًا وعدوانًا؛ للتأكيد على عدائه لهذا الكيان الصهيوني إلى الأبد على مر العصور والأزمان، كما أن فيه شحذًا لهمته لإخراج هذا الكيان من وطنه وتحريره من بطشه وظلمه العدواني.

كما أن في التعبير بالمضمر(هم) في موضع المظهر؛ إشعارًا واحتقارًا لهذا الكيان الصهيوني وازدراءً لشأنه.

ثم يأتي الأمر من هذا الأب لابنه على الفور بمواصلة الكفاح والجهاد لخروج هذا العدو، من خلال حرف العطف (الفاء) مع فعل الأمر، في قوله: (فُعُدْ) فهو أمر غرضه النصح والإرشاد بالإضافة إلى ما فيه من الإلهاب والتهييج لهذا الابن للدفاع ومواصلة الجهاد من أجل تحرير وطنه من ظلم هذا العدوان الصهيوني الغاشم.

كما أن في التعريف بالموصولية، ووضع المضمر موضع المظهر: (إِلَى مَنْ أَخْرَجُوك)؛ إشعارًا وتشهيرًا بهذا العدوان بقبحه وشناعة، وفيه احتقارًا وازدراءً

لشأنه وصونًا للسان من ذكره. والعبارة كناية عن موصوف؛ -هم- هؤلاء الصهاينة الذين أخرجوا أبوك بتهجيره من وطنه واحتلاله.

ثم يعلل هذا الأب خروج ابنه ومواصلة للكفاح والذود عن وطنه ودحر هذا الكيان وخروجه منه، مؤكدًا ملكيته على وأحقيته بأرض وطنه من هذا العدو الصهيوني من خلال حرف الفاء في قوله:(فَهُنَاكَ...)، كما أن في التعبير بـ(هناك) تنزيلًا لغير الحاضر منزلة الحاضر المشاهد؛ لاستحضار تلك الصورة في ذاكره هذا الابن. كما أن في التنكير لكلمة:(أرض) تعظمًا وتفخيمًا لهذا الوطن السليب.

ثم يتذكر هذا الأب من خلال تذكره وقصصه لذكريات الماضي الجميلة، عندما كان يعيش حياة آمنةً مطمئنةً يزرع يرتع في أرض وطنه ويأكل من خيراته، ذلك ما نلحظه من خلال التعبير بالفعل الماضي الناقص في قوله: (فَهُنَاكَ أَرْضٌ كَانَ يَزْرَعُهَا أبوك) ، ومن ينعم النظر يلحظ أن لفظة (الأب) في قوله:(أبوك)-هنا- مستعارة لأهل بلده وموطنه، فهم له بمنزلة الأب، وهو ما يفيض بمدى مشاعر الحب والألفة والترابط والتآخي بين أبناء هذا الشعب الأعزل-نصره الله نصرًا عزيزًا-.

ويواصل هذا الأب تذكرة لماضيه التليد، وما كان يتمتع به في ربوع وطنه السليب بأنواع النعيم، حيث ذوقه لثمار أشجاره اليانعة وطعمها الشهد وكأنه العسل المذاب فيها، وتأكيده لتذوقه لها من خلال حرف التحقيق مع الفعل الماضي :(قد ذقت)، بالإضافة إلى حياته الكريمة التى كان يعيشها من الراحة والسعادة والأمن والأمان والاطمئنان، ذلك من خلال إخباره وقصصه عن حكايات ماضيه السعيد في قوله: (قَدْ ذُقْتَ مِنْ أَثْمَارِهَا الشَّهْدَ الْمُذَاب) كما أن في الجملة استعارة

تمثيلية[١]، مبالغة في تجسم وتجسيد تلك الصورة الجميلة لاستحضارها في ذكرة ابنه كأنها واقع مشاهد أمام عينه .

ثم يأتي الاستفهام الذي غرضه الاستبطاء، أو الاستنكار في قوله:(فَإِلَامَ تَتْرُكَهَا لِأَلْسِنَةِ الْحِرَاب ؟) أي: إلى متى: استبطاءً؟! أو استنكارًا لابنه إن تهاون وتباطىء في تحرير وطنه وتخلصه من بطش هذا العدوان الغاصب، ودحره وخروجه ذليلًا منكسرًا من أرض وطنه الحبيب يجرجر أذيال الخيبة والهزيمة.

كما يلحظ أن في هذا الاستفهام –أيضًا– إلهابًا وتهيجًا لابنه لشحذ همته وموصلة كفاحه ضد العدو واسترجاع وطنه السليب وتخليصه من هذا العدو الغاشم. وهو ما أكدته وصورته وجسدته الاستعارة التمثيلية[٢] في هذه العبارة– أيضًا–.

كما أن في قوله:(ألسنة الحراب) كناية عن موصوف، وهم هؤلاء اليهود الملاعين الذين لا عهد لهم ولا ذمة، في سطوهم وغصبهم على خيرات وممتلكات هذا الوطن السليب وهذا الشعب الأعزل بقوة السلاح والعدة والعتاد ومساعدتهم من أمثالهم الخائنين.

*****

(١) حيث شبه حاله وهو يتمتع في ربوع وطنه بشتى أنواع النعيم والراحة والسعادة، بحال وهيئة من يتناول العسل المصفى بجامع الهيئة الدالة على حصول المتعة الكبيرة بالطريقة السهلة. استعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

(٢) حيث شبه حال من يترك بلده في يد العدو المغتصب، بهيئة من يترك أهله مشهورًا وفي وجوههم الحراب، بجامع الهيئة الدالة على تخلى المسؤول عما هو مسؤول عنه واستسلامه إلى من يضره ويضره، استعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

المبحث الرابع: شحذ الهمم لاسترجاع الوطن السليب وتحريره.

١٥-إِنْ جِئْتَهَا يَوْمًا وَفِي يَدِكَ السِّلَاحْ
وَطَلَعَتَ بَيْنَ رُبُوعِهَا مِثْلَ الصَّبَاحْ
فَاهْتِفْ عَلَي سَمْعَ الرَّوَابِي وَالْبِطَاحْ
إِنِّي أَنَا الْأَمْسُ الَّذِي ضَمَّدَ الْجِرَاحْ
١٦-لَبَّيْكَ يَا وَطَنِي الْعَزِيزَ الْمُسْتَبَاحْ
أَوَلَسْتَ تَذْكُرَنِي؟ أَنَا ذَاكَ الْغُلَام
١٧-مَنْ أَحْرَقُوا مَأْوَاهُ فِي جُنْحَ الظَّلَام
بِلَهِيبِ نَارٍ حَوْلَهَا رَقَصَ الذِّئَاب
لَفَّتْ حَيَاتِي بِالدُّخَانِ وَبِالضَّبَاب

*****

يستنهض هذا الأب اللاجىء همة ابنه والشعب الفلسطيني الأعزل، ويحثهم ويوصيهم بمواصلة الكفاح والجهاد، لتحرير هذا الوطن السليب من تحت وطئة هذا الاحتلال الصهيوني الغاشم، وتخليصه من بطشه وعدوانه، وعودتهم إليه في عزة وشموخ .

وقد بدأ هذا الأب اللاجىء استنهاض تلك الهمم وشحذها من قِبَل هذا الابن والشعب الفلسطيني بأسلوب الشرط (إِنْ جِئتها يومًا وَفِي يَدِكَ السِّلَاحْ) تحريضًا وحثًا ولفتًا لانتباه هذا الابن والشعب الفلسطيني؛ بل والأمة العربية والإسلامية بأن العودة لهذا الوطن السليب وتخليصه وتحريره من يد هؤلاء الطغاة الظالمين لا تكون إلا بقوة السلاح، فإن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة . ورشح هذا قوله:(وفي يدك السلاح) وهى جملة حالية تُبين عن حالة هذا الابن في تنفيذه لتلك الوصية من هذا الأب اللاجىء المكلوم النفس، فما زال يكافح ويناضل، حتى عاد إلى أرض وطنه السليب، حاملًا سلاحه على كتفه لتحرير أرضه وأرض آبائه وأجداده .

ثم لنتأمل براعة الشاعر في دقة اختياره ومدى مناسبتها للمعنى المراد، من حيث الكفاح والجهاد ومجابهة هذا العدوان بالقوة والعنف، من خلال التعبير بلفظ (المجيء) دون(الإتيان)، وذلك لما ينبئ به لفظ المجيئ[١] من قوة واقتدار، وكما هو مفهوم من –معناه اللغوي– الذي فيه مشقة وصعوبة وقوة، فهو مناسب لمعنى الكفاح والجهاد لمواجهة هذا العدوان الغاشم بالقوة المضادة له التى تزلزل أركانه.

كما أن في التعبير بظرف الزمان (يومًا) تنزيلًا للزمان البعيد، منزلة الزمان القريب؛ تفاؤلًا بقرب النصر من الله على هذا العدوان الغاشم، كما أن في التنكير تفخيمًا وتعظيمًا ليوم النصر على هذا العدوان الصهيوني.

ثم تأتي الجملة الحالية استكمالًا للصورة مع سابقتها في الشطر السابق ؛ لتبين –أيضًا– عن حالة هذا الابن عند عودته إلى أرض وطنه وأجداده لتحريره :(وَطَلَعَتَ بَيْنَ رُبُوعِهَا مِثْلَ الصَّبَاحْ) فالجملة تشبيه تمثلي ، حيث شبه مجيء هذا الابن على أرض وطنه وعودته إليه مرة أخرى وتنقله بين ربوعه، كالصباح المشرق المتلألئ بالنور؛ تفاؤلًا بحصول النصر على هذا العدوان الصهيوني، فالصباح–هنا– موطن للتفاؤل بالنصر.

ثم يأتي جواب الشرط نتيجة لما قبله، تفاؤلا بحصول النصر وتحقيقه على يد هذا الابن والشعب الفلسطيني على هذا الكيان الصهيوني بعد عودته إليه: (فَاهْتِفْ عَلَي سَمْعَ الرَّوَابِي وَالْبِطَاحْ) والأمر –هنا– للإلهاب والتهييج إلهابًا لهذا الابن وشحذًا لهمته.

---

(١) المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعمّ؛ لأنّ الإتيان مجيء بسهولة. المفردات في غريب القرآن . تأليف /أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ص: ١٠٣. ط: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق بيروت ط: الأولى . ١٤١٢هـ .

ثم لنتأمل دلة الألفاظ ودقة الاختيار في قوله:(اهتف) دون (نادي) وذلك لما يحمله الهتاف من معاني الحماسة والفرح بقدوم النصر على الأعداء، ودلالته على ارتفاع الصوت العالي وسماعه لمن لم يبصر أحد، على سمع الروابي والبطاح لأرض وطنه السليب.(١) .

وفي الجملة:(عَلَي سَمْعَ الرَّوَابِي وَالْبِطَاحْ) استعارة مكنية(٢)؛ مبالغة في تصوير وتجسيد تلك الصورة في ذهن السامع والقارئ.

ثم الأسلوب الخبري على لسان حال هذا الابن بعد عوته إلى وطنه وتحريره:(إنِي أَنَا الْأَمْسُ الَّذِي ضمّدَ الْجِرَاح) مؤكدًا بأكثر من مؤكدٍ: (إنَّ، وضمير الفصل(أنا)، والجملة الاسمية) دالًا ومؤكدًا على أحقيته وملكيته لهذا الوطن من هذا العدوان الغاصب.

وهو ما أكدته-أيضًا- الاستعارة التمثيلية في الجملة -أيضًا-(إنِي أَنَا الْأَمْسُ الَّذِي ضمّدَ الْجِرَاح) حيث صور حاله وهو يحرر هذا الوطن السليب من هذا العدوان الغاصب المستعمر بهيئة طيبب ماهر حاذق يضمد جروح من أصابه حاث شديد قد أصابته جروح عظمة، وفيها من المبالغة من التصوير والتجسيد؛ كي يراها السامع ويستحضرها أمام عينه وكأنها واقع مشاهد.

ثم لنحظ مدي المعاناة التى يعانيها هذا الابن كما كان يعاينها والده من قبله من الألم والأسى والحزن من خلال تنقله بين الماضي (الصباح- الأمس) وما بينهما من تضاد يؤكد هذا المعنى في ذهن هذا الابن بأحقيته لهذا الوطن وملكيته له من هذا العدوان الغاصب.

---

(١) لسان العرب، ٣٤٤/٩.

(٢) حيث شبه تلك الراوبي والبطاح، بإنسان يعي ويسمع من ينادي عليه، يجامع الاصغاء والسماع في كلٍ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه لوازمه وهو السمع على سبيل الاستعارة المكنية.

ويأتي الإذعان والخضوع من قبل هذا الابن في تنفيذ تلك الوصية الغالية، من خلال النداء لهذا الوطن ملبيًا لهذا الوطن الحبيب السليب، وفدائه بدمه وروحه، ذلك ما نلحظه من خلال لفظ (التلبية) مثناة تلبية بعد تلبية وإجابة لك بعد إجابة أفديك بروحي ودمي من هذا العدو الغاشم الذي أهانك وانتهك حرماتك ومقدساتك، مؤكدًا على هذا المعني بأكثر من مؤكد من الطباق بين (العزيز- المستباح)، والاستعارة المكنية[١] من خلال ندائه لوطنه(يا وطني) وتلبيته له.

ولا يخفى علينا ما يحمله النداء(يا وطني) من الشعور بالتفجع والألم والحزن من قبل هذا الابن تجاه هذا الوطن السليب.

ثم يصور شاعرنا –هاشم الرفاعي- الوطن بعد عودة الابن إليه بعد فترة غيابه عنه وتحريره له، بأسير قد فك أسره، فهو يتكلم معه فرحًا بالنصر على هذا العدو الغاشم، مستفهمًا(أَوَلَسْتَ تَذْكُرَنِي؟ ...) وهو استفهام غرضه الإيناس كالأسير بعد عودته يتحدث مع أهله وأحبابه ويسأل مستفهمًا، أنسيتموني؟!، أنا فلان الذي كنت معكم من قبل وكنت أفعل كذا وكذا، فهو يأنس بهم من خلال هذا الاستفهام، وليس استفهام إنكار، لذا نجد أن ينعم النظر في سؤال هذا الابن لوطنه بعد عودته في قوله: (أَوَلَسْتَ تَذْكُرَنِي؟ ...) يلحظ في هذا السؤل محذوف مقدر، أي: أنسيتني ولست تذكرني يا وطني الحبيب؟! مستأنسًا به، فرحًا ومسرورًا بلقائه بعودته إليه بعد غيابه عنه، بتهجيره من قِبَل هذا العدو الغاشم.

ثم يأتي الاستئناف البيان ويطوي الكلام طيًا مصورًا لحال هذا الابن،(أَنَا ذَاكَ الْغُلَام..) جواب عن سؤال مقدر، أُثير في ذهن هذا الابن من قِبَل وطنه تقديره : لست أذكرك من أنت؟ فكان الجواب: ،(أَنَا ذَاكَ الْغُلَام..)، كما نلحظ أن في الإشارة استحضارًا لصورة هذا الغلام من ذي قبل.

---

(١) حيث شبه هذا الوطن تحت وطئة هذا الاحتلال الغاشم، بالأسير الذي وقع في يد العدو، فهو ينادي على من يفك أسره من أيديهم. بجامع المنع والقيد في كلٍ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه لوازمه وهو السمع على سبيل الاستعارة المكنية.

ثم يأتي التوضيح بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال لهذا الغلام معددًا لصفات هذا الابن وما ألمَّ به من الخطوب والأحداث من قبل هذا العدو الغدر الخائن، من خلال التعبير بالاسم الموصول(مَنْ أَحْرَقُوا مَأْوَاهُ فِي جُنْحَ الظَّلَام)؛ للدلالة اشتهار الصلة وأنها معلومة بينهما، والجملة كناية عن موصوف مصحوبة بالدليل والبرهان تصور مدى غدر وخسة هذا العدوان المغتصب الغادر في هجمته الوحشية عليه في ظلام الليل الدامس.

ثم يبين هذا الابن عن مدى غدر هذا العدوان وخسته متابعًا ومفصلًا وموضحًا لأوصافه الخسيسة في هجمته الوحشية عليه من خلال الاستعارة التمثيلية[1]: (بلهيب نارٍ حولها رقص الذئاب) مؤكدةً ومصورة مدى غدر هذا الاستعمار وخسته تجاه هذا الابن ووطنه السليب، عندما أحرقوا عليهم خيمهم ، وما أشبه اليوم بالبارحة مما نراه ونشاهده من غدر هذا العدوان في ضرباته وهجمته على هذا الوطن السليب الأعزل في رفح وغزة والمدن الفلسطينية عندما أحرقوا عليهم خيمهم.-قاتلهم الله-.

ثم يُبين هذا الابن هن مدى الشعو بالحزن والأسى واليأس الذي انتابه بسبب هجمات هذا العدوان الغادر ووحشيته عليه؛ استكمالًا لتلك الصورة الوحشيَّة الخسيسة:(لَفَّتْ حَيَاتِي بِالدُّخَانِ وَبالضَّبَاب) كناية شعوره باليأس، إذ(الدخان والضباب) -هنا- مستعار لليأس، فهذا الابن يُبين ويُفصح عن أثر الاستعمار على حياته؛ حيث لم يعد يُبصر بارقة أملٍ في مستقبله، ولا يرى شيئًا يسره، فلقد أحاطه اليأس وخيبة الأمل من كل مكان.

****

(١) حيث صور حال هؤلاء اللاجئين حينما أحرق هذا العدوان الغادر الخائن عليهم خيامهم وأخرجهم في جنح الظلام، وهم فرحين بخروج هؤلاء اللاجئين بانتصارهم -هذا- عليهم، بهيئة ذئاب اجتمعت حول نار تتراقص وتأنس بها بجامع الفرح والسرور. على ثم استعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

المبحث الخامس: الوصية بعدم اليأس والتمسك بالوطن السليب والعودة إليه.

١٨-لَا تَبْكِينَّ فَمَا بَكَتْ عَيْنُ ... الْجُنَاة
هِيَ قِصَّةُ الطُّغْيَانِ مِنْ فَجْرِ الْحَيَاة
١٩-فَارْجِعْ إِلَى بَلَدٍ كُنُوزُ أَبِي... حَصَاه
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ عَلَى ثُرَاه
أَمَلٌ ذَوِيَ، مَا كَانَ لِي أَمَلٌ سِوَاه
٢٠-فَإِذَا نَفَضْتَّ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك
وَمَضَيْتَ تَلْتَمِسُ الطَّرِيقَ إِلَى غَدِك
فَاذْكُرْ وَصَّيةَ لَاجِيءٍ تَحْتَ التُرَاب
سَلَبُوهُ آمَالَ الْكُهُولَةِ وَالشَّباب

في هذا المقطع الخامس والأخير من تلك القصيدة، يوصي هذا الأب اللاجيء ابنه وصية جامعة، وينهاه عن البكاء على الأطلال وعدم الشعور باليأس، عما كان من هذا العدو الغاشم من غدر وخيانة له ولوطنه السليب، لأنه هو صاحب هذا الحق السليب، وصاحب الحق دائمًا عينه قوية لا تبكي أبدًا مهما كان، وإن كان من بكاء، فالأجدر والأولى بالبكاء، هذا العدو الغادر الخائن الخسيس، لكن الدموع قد تحجرت في عينيه؛ لبلادته، وهذه هي شيمت أهل الغدر والخيانة في كل زمان ومكان، ثم يكرر هذا الأب اللاجيء وصيته لابنه في ختام حديثه، ويوصيه -هو والأمة العربية والإسلامية- بوصيته التي لا تنسى على مرِّ الزمان بالتمسك بهذا الحق السليب-القضية الفلسطينية-، وتحرير هذا الوطن، وتحقيق الأمل الذي كان يسعى إليه ويرتجيه والتضحية من أجله بكل غال ونفيس.

وقد بدأ هاشم الرفاعي هذا الوصية الغالية لابنه وكل عربي مسلم يغار على وطنه بالنهي:(لَا تَبْكِينَّ فَمَا بَكَتْ عَيْنُ ... الْجُنَاة) مؤكدًا ومشددًا على عدم البكاء على ما مضي وحدث من غدر وخيانة من هذا العدو الخائن وسطوه على خيرات هذا الوطن وممتلكاته في احتلاله له، وفي هذا النهي تسلية لهذا الابن، وإلهاب وتهييج له؛ وشحذ لهمته.

ثم لنظر إلى وضع المظهر في موضع المضمر في قوله:(عين الجناة) ولم يقل:(عينهم) بالإضمار، فضحًا لشأنهم والتشنيع بهم، وإظهارًا لعدوانهم وظلمهم على مدى الأزمان.

ثم يقرر هذا الأب ويزيد من إيضاحها تلك القضية في ذهن ابنه من خلال تعريف المسند إليه بضمير الغائب:(هِيَ قِصَّةُ الطُّغْيَانِ مِنْ فَجْرِ الْحَيَاة) ولم يأت تعريف المسند إليه باسم الإشارة:(هذه قصة الطغيان) مثلًا؛ إشعارًا بأن الغدر من قِبَل هذا الاحتلال ليس وليد اليوم؛ بل هو منذ فجر الحياه: أي: مع بدء الحياة ومطلعها؛ دلالة على غدر هذا العدوان وظلمه منذ الأزل على هذا الشعب الأعزل وهذا الوطن السليب.

ثم يأتي الأمر على الفور في وصية هذا الأب اللاجئ لابنه بالعودة والرجوع إلى هذا الوطن والتمسك به وعدم التفريط فيه من خلال فعل الأمر المقترن بفاء العطف الدال على الفور والسرعة:(فَارْجِعْ إِلَى بَلَدٍ كُنُوزُ أَبِي... حَصَاه) إلهابًا وتهيجًا لهذا الابن بالتمسك بهذا الحق السليب وهو(الوطن) إذ البلد-هنا- مستعار لهذا الوطن السليب.

وقوله:(كُنُوزُ أَبِي حَصَاه) كناية عن خيرات هذا الوطن السليب، وعلو ومكانة هذا الوطن في نفس هذا الأب اللاجىء، فحصاة وتراب هذا الوطن كنوز في نفس هذا الأب؛ لما فيها من النفع العميم والخير الوفير.

وفيه-أيضًا- تشبيه؛ حيث شبه حصى هذا الوطن السليب بالكنوز الثمينة؛ تأكيدًا على عموم نفعه وخيراته الوفيرة. كما أن في التنكير:(بلدٍ[1]) تفخيمًا وتعظيمًا وتعظيمًا لهذا الوطن السليب وتلك البقاع الطيبة الطاهرة.

(١) حيث شبه هذا الأمل الذي يطمح إليه طيلة حياته، بالقمر الذي غاب وأفل ضوؤه، بجامع الفقد في كلٍ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه لوازمه وهو كلمة (ذوي)على سبيل الاستعارة المكنية.

وسرعان ما ينقلنا هذا الأب اللاجىء إلى محنة عظيمة تفيض بالحزن والألم واليأس لفقده لأمله وتحقيق حلمه الذي كان يطمح إليه ويرتجه وتخلص وطنه من بطش هذا العدوان الظالم وتحريره، لكن هيهات هيهات!!، وقد اقترب أجله ورحيله، وقد كان يرجو ويطمح أن يموت شهيدًا كغيره من شهداء وطنه، ويدفن في تلك البقاع الطاهرة المقدسة، ذلك ما نلحظه من خلال أسلوبه الخبري المؤكد في قوله:(قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ عَلَى ثُرَاه) فداءً لهذا الوطن السليب؛ كناية عن حبه العميق تجاه وطنه السليب، رشَّح هذا الحب، قوله:(عَلَى ثُرَاه)؛لأنه أحن عليه وأغلى على قلبه من أي مكانٍ آخر.

مؤكدًا على شدة حزنه وألمه وحسرته ولوعته لفقده لهذا الأمل الذي يرجوه ويطمح إلى تحقيقه في قوله:(أَمَلٌ ذَوِيَّ، مَا كَانَ لِي أَمَلٌ سُوَاه) بأكثر من مؤكد من: (تكراره للفظ (أمل)، والقصر الذي طريقه النفي والاستثناء في قوله:(مَا كَانَ لِي أَمَلٌ سُوَاه) والاستعارة المكنية في قوله:(أَمَلٌ ذَوِي) ؛ تأكيدًا لحزنه الشديد، ومبالغة في تصوير وتجسيد حسرته ولوعته وغصته لفقده لأمله المنشود الذي كان يتطلع ويطمح إلى تحقيقه.

ثم يأتي التذييل ختامًا لهذه القصيدة، من قِبَل هذا الأب اللاجىء لابنه، بوصيته التى لا تنسى كما أوصاها له من قبل في بداية حديثه مكررًا لها؛ كي يرعها سمعه وبصره وقلبه، ولتكون القضية الفلسطينية عالقة في ذهنه وذهن كل إسلامي وعربي على مرِّ العصور والأزمان؛ وشحذا لهمة هذا الابن البار، وإلهابًا وتهيجًا له وللأمة الإسلامية والعربية؛ للدفاع عن تلك البقاء الطاهرة المقدسة في الأرضي والمدن الفلسطينية، وتحرير هذا الوطن السليب من بطش وظلم هذا العدوان الغاشم الخائن الغادر، وخروجه مدحورًا مهزومًا منه يجرجر أذيال الخيبة والهزيمة والخذلان، ذلك ما نلحظه في قوله:

-فَإِذَا نَفَضْتَّ غُبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِك

وَمَضَيْتَ تَلْتَمِسُ الطَّرِيقَ إِلَى غَدِك

فَاذْكُرْ وَصَّيةَ لَاجِيءٍ تَحْتَ التُرَاب
سَلَبُوهُ آمَالَ الْكُهُولَةِ وَالشَّباب

فهو تذييل مؤكد ومقرر لمضمون هذه القصيدة التي بين أيدينا، من خلال تلك الوصية الغالية، بما اشتملت عليه من ألفاظ وكلمات موحية ومعبرة لها دلالتها البلاغية في تلك الوصية، كما عرضت لها من قبل بالشرح والتحليل في مطلع القصيدة، فهي وصية غالية بمواصلة المسيرة خلفًا له، بتمسكه بأرض وطنه الحبيب والعودة إليه، وبذل كل غال ونفيث من أجل تحريره من يد هذا العدو الصهيوني الغاشم، ويحقق ما كان يطمح إليه هذا الأب اللاجيء من آمال وطموحات كبار كان يسعى إليها من قبل، وهى تخليص وطنه السليب من تحت وطئة الاحتلال الصهيوني، ولكن هيها هيهات وقد انقضى العمر وقرب الأجل وأوشك على الرحيل، فهي كلمات أخيرة مفعمة بالحزن والأسى والحسرة، ودَّع بها هذا الأب اللاجيء ابنه قبل فراقه بقرب ودنو أجله ورحيله من الدنيا، ودائمًا كلمات الوداع والوصية قبل الرحيل تكون محل اهتمام عند الموصي إليه، فكان شاعر-الرفاعي- موفقًا بارعًا في ختامه وتذييله لهذه القصيدة بتكراره بهذه الوصية لابنه؛ كى تظل عالقة تردد في أذنه، تأكيدًا على أهميتها وعظم شأنها. كما لها-أيضًا- أهميتها البالغة في ربط أحداث القصيدة وجعلها نسيجًا واحدًا متماسكًا .

****

خاتمة البحث

وبعد تلك الرحلة الماتعة التى طوفت من خلالها في إحدى قصائد الشاعر – هاشم الرفاعي– وهى قصيدة:(وصية للاجىء) المصورة لحال اللاجىء الفلسطيني وما يعانيه في غربته من شدائد، خَلُصَ البحث إلى أهم النتائج الآتية:

أولًا: برع الشاعر –هاشم الرفاعي– براعة فائقة في تقمصه لشخصية هذا الأب اللاجىء الفلسطيني الذي أوشك على الرحيل، وما يعانيه من شكوى الاغتراب ووحشته، وألم ومرارة الفراق ولوعته، كما لو كان عاشها واقعًا بالفعل من خلال هذه القصيدة.

ثانيًا: استخدامه للحروف ذات النبرة العالية كالقاف والكاف قافية لبعض أشطار تلك القصيدة، كما في قوله:(الغسق) (أَخْرَجُوك) ، وما فيهما من جهر وقوة، وما في مخرجيهما من قرب من أقصى اللسان مع سقف الحنك الأعلى، وكأن غصة أصابت حلق هذا الأب عند خروجها، تفيض بمشاعر ومرارة ألم الفراق ولوعته لدى هذا الأب اللاجىء لأهله ووطنه، ويأسه من تحقق أمله.

ثالثًا: خروجه عن المألوف في نظم القصيدة إلى أبيات وجعلها أشطار أبيات، ولعل ما دفعه إلى هذا أنه كان يترك الكلام إلى خاطرة في تصويره عندما كان يتذكر ثكل ولده ووطنه السليب، فكانت تلك الأشطار تخرج كأنها صرخات بها زفرات محرقة ، ملتهبة تخرج من قلب محطم ونفس مكلومة، معبرة أصدق تعبير عن فقدة لأمله الذي كان يرتجيه ويطمح إليه.

رابعًا: اختياره لمجزوء بحر الكامل ليعزف به على أوتار قصيدتنا؛ فأحرق القلوب وأبكى العيون، مما جعلنا نعيش معه أجواء تلك القصيدة وأحداثها بما فيها من آلام وأحزان وأتراح كأنها رأي العين، وكما لو كانت تلك الوصية واقعة بالفعل من أب لاجئ فلسطيني، فقد الأمل في العودة والرجوع إلى وطنه وأهله.

خامسًا: اعتماده على الاستعارات المكنية والتمثيلية والتصريحية والتبعية، في تصوير وتجسيد تلك المشاهد المؤلمة المفعمة بالأسى والحزن واليأس؛ لأنها تعرض الصورة كاملة أمام الأعين كأنها واقع مشاهد.

سادسًا: استخدامه لفعل الأمر الدال على النصح والإرشاد بالإضافة إلى الإلهاب والتهييج في الوصية لهذا الابن للدفاع ومواصلة الجهاد من أجل تحرير وطنه من ظلم هذا العدوان الصهيوني الغاشم.

وختامًا: أسأل الله ﷻ السداد والتوفيق والقبول، وأن يرحم شاعرنا-هاشم الرفاعي- وجميع أموات المسلمين رحمة واسعة اللهم آمين يارب العالمين، وصلَّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين.

أولًا: ثبت المصادر والمراجع

١-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف: عبد المتعال الصعيدي، ط: مكتبة الآداب ، ط: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٢-تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب. ط، دار النشر : دار إحياء التراث العربي، ط، بيروت ط، الأولى، ٢٠٠١م.

٣-الجامع الكبير= سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي ــ بيروت، ط: ١٩٩٨م

٤-جمهرة اللغة، تأليف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين - بيروت ط: الأولى، ١٩٨٧م.

٥- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، تأليف: محمد محمد أبو موسى، ط: مكتبة وهبة، ط: السابعة.

٦- دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تحقيق: محمود محمد شاكر أبوفهر، ط:مطبعة المدني بالقاهرة/ دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧-ديوان هاشم الرفاعي (المجموعة الكاملة)، جمع وتحقيق: حسن محمد بريغش، ط، مكتبة المنار، الأردن-الزرقاء، ط، الثانية ١٤٠٥ه/١٩٩٥م.

٨-سلسلة شعر ومختارات هاشم الرفاعي، موقع د/ حامد طاهر، الشبكة العنكبوتية.

٩-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز .تأليف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ . ط: المكتبة العنصرية - بيروت ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٠-كتاب العين، تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

١١-لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة،١٤١٤ هـ.

١٢-المرشد إلى فهم أشعار العرب: عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب، ط الناشر: دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

١٣-المستدرك على الصحيحين للحاكم، تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ،ط، دار النشر: دار الحرمين البلد: القاهرة – مصر، ط: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.

١٤-معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط: دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٥-المفردات في غريب القرآن. تأليف /أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق بيروت ط: الأولى . ١٤١٢هـ .

ثانياً: فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	الملخص	٩٦٥
٢-	Abstract	٩٦٦
٣-	مقدمة.	٩٦٧
٤-	تمهيد . الشاعر هاشم الرفاعي في سطور.	٩٧٠
٥-	نص القصيدة -موضوع الدارسة-	٩٧٨
٦-	المبحث الأول: شكوى الاغتراب وألم الفراق.	٩٨٢
٧-	المبحث الثاني: مأساة الأب اللاجىء ومعاناته.	٩٩٣
٨-	المبحث الثالث: إحياء ذكريات الطفولة عند الابن على أرض الوطن بين اليأس والرجاء.	١٠٠٣
٩-	المبحث الرابع: شحذ الهمم لاسترجاع الوطن السليب وتحريره.	١٠١٠
١٠-	المبحث الخامس: الوصية بعدم اليأس والتمسك بالوطن السليب والعودة إليه.	١٠١٥
١١-	خاتمة البحث.	١٠١٩
١٢-	فهرس المصادر والمراجع.	١٠٢١
١٣-	فهرس الموضوعات	١٠٢٣

تم بحمد الله